مفهوم العربية الوسيطة

عند المستشرقين الباحثين في تاريخ اللغة العربية

عبد المنعم السيد أحمد جدامي

تحاول هذه الدراسة أن تحدد ماذا يقصد بما يصطلح عليه بالعربية الوسيطة (Middle Arabic)، وتوضيح مفهومه داخل مجال البحث في تاريخ اللغة العربية، ونروم من ذلك تحديد مفهومه، وهل هو دال على مرحلة تاريخية من تاريخ اللغة العربية؟ أم هو تنوع من اللغة العربية؟ أم خليط من تنوعات لغوية، أم هو مرحلة تاريخية لها تنوعها اللغوي الخاص، بيد أن هذا المصطلح ومصطلحات مجال تاريخ اللغة العربية لدى الباحثين في هذا المجال لها مشكلاتها المصطلحية، ولدى هؤلاء نجد تباينات مصطلحية ومفاهيم مختلفة، كما أن مراحل العربية مختَلَف حولها من قِبل الباحثين فيها.

على أية حال يحاول الباحث أن يُقْدِمَ على الدخول في خضم مجـــال اقتـــصر – للأســـف– علـــى المستشرقين فقط، وذلك له أسبابه، منها أن الباحث في تاريخ أية لغة لابد أن يكون مؤهلاً علميًّا من خلال دراساته اللغوية الحديثة، وكذلك إجادته لعدد من اللغات القريبة للغة المدروسة؛ حتى يعطي كل ذلك وعيًـــا إضافيًّا لتاريخ اللغة المدروسة. وسنجد من خلال هذه الدراسة عددًا من التباينات بين البـــاحثين فـــي هـــذا المجال، ومرده أن كل باحث له مشاربه العلمية ومدارسه التي تأثر بها، ومن ثم يتأثر برؤيتها.

وتأتي الدراسة وفق العناصر التالية:–

أولاً: مقدمة.

ثانيًا: المرحلة الأولى من مفهوم مصطلح العربية الوسيطة.

ثالثًا: المرحلة الثانية: إسهامات بلاو.

رابعًا: المرحلة الأخيرة: تطور مفهوم العربية الوسيطة عنـــد المستـــشرقين والبـــاحثين: فيـــشر، بنجامين هاري، بيير لارشيه، جونفر ميجدل، جيروم لنتان، جمال الدين كلوغلي، كيس فرستيج.

خامسًا: تحليل رؤى المستشرقين.

سادسًا: المصادر والمراجع.

وأبدأ بالعنصر الأول:

<u>أولاً: مقدمة(*):</u>

لا نجد إشارات في التراث العربي حول ما يسمى باللغة العربية الوسيطة، إلا أننا نجـــد مـــا يفيـــد بوجود تنوعات لغوية مختلفة، ومن ذلك ما يذكره الجاحظ من وجود "كلام الأعراب"، و"كـــلام المولـــدين البلديين"(١).

ندرك من ذلك اعترافهم بوجود لغة محللة من الإعراب، وكان ابن خلدون أكثر توضـيحًا حينمـا ذكر ما اصطلح عليه بـ "لغة أهل الجيل"، والتي يصفها بقوله: "إنما هي لغة أخرى غير المـضرية مـن امتزاج العجمة بها"[٢]، ويذكر أن هذا النوع من نوعين آخرين هما: "اللسان المضري"، و"لغات الأمصار".

ولقد جاءت كتب لحن العامة لتعطي صورة عن التطور اللغوي للعربية، وإن كانت هذه الـصورة قاصرة؛ ذلك أن هذه الكتب لم تستوعب ما وقع من أخطاء، ولم نـر وصـفًا أو إشـارات لاسـتخدامات المترجمين للغة لم تكن سليمة في الاستعمال، فعلى سبيل المثال من خلال مناظرة أبـي سـعيد الـسيرافي وأبي بشر متَّى بن يونس، نجد السيرافي يعيب على لغة متى فيقول: "وإذا لم يكن لك بد من قليل هذه اللغة من أجل الترجمة، فلابد لك أيضًا من كثيرها من أجل تحقيق الترجمة واجتلاب الثقة والتوقي مـن الخلـة اللاحقة. فقال متّى: يكفيني من لغتكم هذه الاسم والفعل والحرف، فإني أتبلغ بهذا القدر إلى أغـراض قـد هذبتها لي يونان.

قال أبو سعيد: أخطأت؛ لأنك في هذا الاسم والفعل والحرف فقير إلى وصفها وبنائها على الترتيب الواقع في غرائز أهلها... بل أنت إلى تعرف اللغة العربية أحوج منك إلى تعرف المعاني اليونانية...". [٣]

أعتقد بأنه، ومن خلال الحوار الذي دار في المناظرة التي قامت بين السيرافي ومتّى، ومن خـلال مادة الترجمات التي قاموا بها يتأكد وجود أخطاء لغوية عديدة، لكن كتب اللحن لم تشر لها؛ ربمـا لأنهـم خارج البيئة اللغوية التي اهتم بها مؤلفو كتب اللحن، ومن ينظر إلى ترجمة متّى لكتاب الـشعر لأرسـطو يجد فيها مستجدات تركيبية لم تحدث من قبل في العربية، ومن ذلك اسـتخدامه للرابطـة فـي التركيـب العربي، وهو في ذلك متأثر بما في اللغة اليونانية، ومثال ذلك قوله: "وهي أن باب التعليم ليس إنمـا هـو لذيذ للغير فقط"[٤] و"لذلك صار أهل أدرياس هم متمسكون بالمديح والهجاء".[٥] وأيضًا قوله: "وليس إنمـا ينبغي أن تكون هذه فقط منتظمة مرتبة".[٦]

وإننا مع رأي د. السعيد بدوي حينما يذكر أن استخدام المستوى اللغوي المخـتلط مـن العربيـة الفصحى واللهجات الدارجة، والذي سماه نفسه (العربية الوسطى)، لم يقتصر علـى اليهـود والنـصارى وحدهم قديمًا؛ بل تعداه إلى غيرهم من المسلمين ممن لم ينالوا حظًّا وفيرًا من العلم القـديم. وأن هـؤلاء المسلمين من محدودي الثقافة كانوا يستخدمون في كتاباتهم وفي إنتاجهم الشفوي للفصحى لغة تقل كثيـرًا عن المستوى الذي حدده النحاة واللغويون القدماء، ويستشهد د. السعيد لهذا الرأي بوجود عدد كبيـر مـن الكتب التي ألفت في العربية منذ الكسائي في القرن الثاني، والتي خصصت للملاحق التي كان يقـع فيهـا العامة والخاصة[٧].

أما في العصر الحديث فإن الموضوع يأخذ شكلاً مختلفًا، وذلك أنه قد ظهر رأي يقول إنـه لا توجـد عامية وفصحى فقط، بل توجد إلى جوارهما لغة وسيطة، هذه اللغة هي ما أطلق عليه فرح أنطون في روايتـه

"مصر الجديدة" اصطلاح "الفصحى المخففة" أو "العامية المشرقة" أو "اللغة المتوسطة"، وقد أطلق الأديب توفيق الحكيم عليها اسم "اللغة الثالثة"، وهو ما وصمه الأستاذ عباس خضر في مقال له بجريدة الأخبار بوصمة "اللغـــة الخنثى".[٨]

لكن مفهوم اللغة العربية الوسيطة سواء أكان دالاً على مرحلة تاريخية أو لغة مختلطة من فصحى وعامية لم نجده – في حدود علمي– إلا من خلال الباحثين العرب الـــذين لهـــم تواصـــل مـــع الكتابـــات الاستشراقية، ويبدو أن د. السعيد بدوي هو – في حد علمي– أول من استخدم مصطلح (عربية وســـطى) عندما استشهد بكلام لبلاو يقول فيه: "إن عجز اليهود عن إتقان الفصحى كان سببًا في ظهور أدب خـــاص مكتوب بما دعاه "العربية اليهودية" كان حافلاً بكثير من الصفات اللغوية التي تختلف عن صفات الفصحى. والتي ترجع أساسًا إلى ما دعاه "بالعربية الوسطى"، ولم يكن ظهور هذه الصفات اللغويـــة – فـــي رأيـــه– نتيجة محاولة إرادية لاستخدام هذا النوع من الكتابة؛ بدليل أن كل ما كتبه اليهود في القرون الوسطى قـــد امتاز بصفة مشتركة لا تختلف، وهي أنه لم يكن مكتوبًا بالعربية الوسطى".[٩]

ولما كان المفهوم جديدًا آنذاك ذكر أستاذنا الدكتور السعيد – رحمه الله – في الهامش رقم (٣) من ص ٤٣ من كتابه هذا، أن العربية الوسطى تقابل "العربية المولدة" عند يوهان فوك، وسيتبين بعد قليـــل أن (فوك) لم يقل ذلك؛ وإنما كانت ترجمة د. عبد الحليم النجار للفصل الخامس من كتـــاب (فـــوك) العربيـــة بعنوان: العربية المولدة[١٠]، وفي الأصل باللغة الألمانية Mittearablsch والتي ترجمهـــا C.Demizeau –عندما ترجم هذا الكتاب– بالمصطلح الفرنسي[١١] Le Moyen- arabe، والذي يترجم إلـــى الإنجليزيـــة (Middle Arabic).

وأصبح الآن يترجم هذا المصطلح بالعربية الوسطى كما عند د. السعيد بدوي، وكذلك عند د.سعيد بحيري[١٢]، والعربية المتوسطة كما عند د. فالح العجمي[١٣]، و"العربية الوســـيطة" كمـــا عنـــد د. حمـــزة المزيني[١٤]، وأصبح دالاً على: "١– نمط كتابي يقترب من الكلاسيكية في كثير من الصيغ، ويحافظ علـــى الإعراب، ويحوي صيغًا غير صحيحة في محاولة الاقتداء بالكلاسيكية أو صيغًا مفرطة في القياس علـــى صيغ الكلاسيكية.

٢– نمط دارج يقترب من اللهجات، ويفقد الإعراب، يتسم تركيبه بالبساطة الشديدة".[١٥]

ولما كان المفهوم جاء من داخل الدراسات الاستشراقية فأنتقل إلى بحث المرحلة الأولى من تاريخ المصطلح والمفهوم.

ثانيًا: المرحلة الأولى من مفهوم مصطلح العربية الوسيطة:

بدأ المصطلح بالمستشرق الألماني فلايشر (H.L.Fleischer) [١٦]، حيث يقول فولفديتريش فيـــشر إن هذا المستعرب هو الذي قدم مصطلح (Mittearabisch) بمعنى العربية الوسيطة في مقال له نشر في

سنة ١٨٥٤م، ووصف به اللغة التي يتكلم بها العرب وكتبوها في عهد الخلافة العباسية في بغـداد، لكـن فيشر يرى أن فلايشر في كلامه على العربية الوسيطة لم يأخذ في اعتباره إلا المفردات فقط، فهو –حسب فيشر– قد وضع في اعتباره كل التعبيرات التي ظهرت في الاستعمال بعدما أصبحت اللغة العربية اللغـة الأدبية للحضارة الإسلامية، وهذه التعبيرات هي التي سماها الفيلولوجيون العـرب أنفـسهم بالمولـدات، ويذكر فيشر أنه ومنذ فلايشر لم يُعط أي تعريف لغوي لهذا النوع من العربية، فهو اسم للغة ولدت ونـوع نشأ ليبحث عن لغة ينتمي لها. (١٧)

وبرؤية فلايشر هذه تصبح العربية الوسيطة حلقة وسطى بين العربية القديمة والعربيـة المولـدة (Neuarabisch) (١٨)، وتصبح العربية ثلاث مراحل، ويرى فلايشر أن العربية القديمة هـي لغـة أدبيـة بدأت في العصور الإسلامية الأولى في الأراضي التي فتحها المسلمون، وهـي خـارج شـبه الجزيـرة العربية، والعربية الجديدة آنذاك يعتبرها تنوعًا لهجيًا للعربية. (١٩)

إن هذا التقسيم يراه المستشرق أوينز التقسيم الأساسي للتقسيمات التي جاءت فيما بعد عنـد كثيـر من المستشرقين(٢٠)، ويذكر د. جمال الدين كلوغلي أنه يغلب الظن لديه أن الأمر نفسه (وهو استخدام هذا التقسيم، وبدلالة مصطلح العربية الوسيطة) كان لدى فوك، ذلك أن البعد التاريخي لعبارة العربية الوسيطة واضح لديه(٢١)، ويتضح من كلام المستشرق الفرنسي بيير لارشيه أن العربيـة الوسـيطة فـي المفهـوم الألماني القائم على التقسيم: العربية القديمة ←العربية الوسيطة ← العربية المولدة/ الجديـدة، هـي نوع، وإن صح التعبير هي حلقة وصل(٢٢)، ويرى أن فوك وكتابات بلاو الأولى في هذا المـضمار تؤكـد ذلك.

والحقيقة أننا حينما نقرأ ما ذكره فوك سنجده متأثرًا بتلك الرؤية، التي تنبع من دلالة كلمة وسيطة، نجده يتماشى – حسب كلوغلي– مع التقاليد المتبعة في علم اللغة التاريخي؛ فهي تسمية ملائمة مـع هـذه التقاليد(٢٣)، ويتأكد هذا حينما يذكر تحليله لهذا النوع من العربية وفق تاريخ لغوي، وذلك حينما يقول: "في المقابل فإن لغة الاستعمال المعتاد، التي كانت محكية في الطبقات الدنيا والوسطى من سكان الحضر منـذ عصر تكوينها إبّان الفتوحات في بداية الإسلام، والتي كانت قد تطورت إلى عربية وسيطة بدلالة تـاريخ اللغة، هذه العربية الوسيطة من خلال التحولات السياسية والاقتصادية التي أعقبت سـقوط الإمبراطوريـة العربية، فقد اكتسبت (العربية الوسيطة) بكثرة أرضًا"(٢٤)، ثم يتكلم عن كون اليهـود والنـصارى بالعـالم العربي آنذاك كانوا يعيشون تقاليد أدبية مختلفة تمامًا عمَّا كان لدى المسلمين، فقد ظلوا فتـرة طويلـة دون أن يكون لهم نصيب من الثقافة الإسلامية؛ وهذا لأنهم لم يستخدموا في بدايتهم الكتابـة بالعربيـة، لكـنهم استخدموا اللغة المستعملة/ الدارجة في عصرهم، لهذا السبب تبقى الآثار الأدبية للنصارى العرب الأكثـر قدمًا، التي ترجع حتى القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، تظل ذات قيمة مهمـة فـي تـاريخ اللغـة

العربية، فالعربية الوسيطة –حسب زعم فوك– تقدم لنا للمرة الأولى في النصوص التالية[٢٥]، ويقول أيضًا إن هذه العربية الموجودة في أدب اليهود والنصارى في العصور الوسطى نتجت عن اللغة المستعملة في المجتمعات اليهودية المسيحية خارج شبه الجزيرة العربية، تلك المجتمعات التي لا علاقة لها بعالم البدو ولا بعربيتهم، لكنهم استخدموا منذ البداية عربية عامية (Vulgaire) في مرحلة تالية للفصحى (Post-Classique) هذه العربية – حسبه– تطورت وصارت لغة التواصل في حياة من تجمع من العرب والسكان الذين فتحوا بلادهم، ومع نتائج اختلافات الظروف المحلية والاجتماعية تميزت تمامًا عن العربية الفصحى من خلال سلسلة من السمات العامة في الأصوات والبنية الصرفية، وبناء الجملة والتركيب، والمفردات وتكوين الجملة. [٢٦]

ثم يتكلم عن بنية العربية المختلفة عن الفصحى واختلافاتها اللغوية، ويقول إن الطبيعة الحقيقية للعربية الوسيطة واختلافها الحقيقي مع اللغة الفصحى يبقى مؤسَّسًا على تغير في البيئة التي تعطي في تكوينها وهي علامات الإعراب، ومن خلال العربية الوسيطة تصبح العربية مثل كل اللغات السامية الأخرى التي نهجت هذا السلوك منذ فترة طويلة سابقة.[٢٧]

ثم ينتهي الفصل الذي كرّسه للعربية الوسيطة في كتابه: العربية فيذكر فيه أهمية كبرى للنصوص العربية المسيحية واليهودية في تاريخ العربية؛ ذلك أنها تعين على متابعة تركيب اللغة التحليلية التي سلكت في اللهجات العامية من يومنا هذا حتى مرحلة الأدب العربي المكتوب بأيدي مؤلفين مسلمين، والتي بطبيعة الحال بصيغة لغوية مثالية كما في العربية الفصحى. [٢٨]

ويشير فوك إلى أن المترجمين المسيحيين كحُنين بن إسحاق لم يكونوا على معرفة جيدة بالنحو العربي من ناحية، ولم يتوافر لهم من ناحية أخرى أي نصيب من القدرة على التأنق والأسلوب المتقن، لذلك فإن ترجماتهم تكشف بصفة عامة عن الخصائص التي تتصف بها العربية الوسيطة. [٢٩]

يتضح من أقوال فوك الآتي: أن العربية الوسيطة جاءت نتيجة تغيرات اجتماعية واقتصادية للمجتمع العربي، منذ الفتوحات الأولى، وأن أثر غير العرب من اليهود والنصارى مهم في هذا الشكل اللغوي، فهذه العربية الوسيطة –حسب فوك كما ذكرنا– نتجت عن اللغة المستعملة في المجتمعات اليهودية والمسيحية خارج المجتمع العربي الخالص، وهؤلاء ليس لهم علاقة بالبدو أو لغة البدو (اللغة الفصيحة)، فقد استخدمت هذه المجتمعات منذ البداية عربية عامية تأتي في مرحلة بعد الفصحى ترجمها المترجم الفرنسي بمصطلح فرنسي هو (Post-Classique) [٣٠] أي ما بعد الفصحى، ويتضح من هذا التصور التاريخي لهذا الشكل اللغوي لدى فوك.

تتضح الرؤية التاريخية في تصور فوك حينما يذكر أن سلوك العربية وتحولها من الفصحى إلى العربية الوسيطة يؤكد السلوك نفسه الذي انتهجته اللغات السامية الأخرى في تحولها منذ فترة طويلة

سالفة، ويتضح أيضًا من جعله النصوص اليهودية المسيحية العربية ذات قيمة كبرى في تـــاريخ العربيـــة، فحسبه هذه النصوص تعين على متابعة تركيب اللغة التحليلية التي سلكتها اللهجات العامية من يومنا هـــذا حتى مرحلة الأدب العربي المكتوب بأيدي مؤلفين مسلمين، والتي كانت لغـــتهم بـــصيغة لغويـــة مثاليـــة فصيحة.

ولكن رغم النهج التاريخي الذي يحاول أن يرسيه فوك، إلا أنني مع يوشع بلاو حينمـــا يـــذكر أن النظر إلى العربية الوسيطة بوصفها مرحلة وسطى (Intermediate Stage) ما بين العربيـــة الفـــصحى والعربية المولدة غير مفهوم على نحو ملائم، حتى أكثر المطبوعات الحديثة اهتمامًـــا والخاصـــة بتطـــور العربية، وهو كتاب فوك: العربية الذي عالج قضية العربية في العصور الوسطى لا يعود بفائدة فـــي هـــذا المضمار؛ ذلك أنه لا يعطي اهتمامًا كبيرًا للعربية الوسيطة فقد خصص لها فصلاً واحدًا من كتابه العربية من ص ٥٧ إلى ٦٢، واعتمد على مصادر ثانوية فقط، وهي لا تغني[٣١]، وأنا في تـــصوري أن مفهـــوم العربية الوسيطة – سواء أكان عند فلايشر أم فوك – لم يؤسس تأسيسًا مفصلاً، إلا أننا لا ننكر رؤيتهمـــا التاريخية، وأن استخدامهما المصطلح كان بدلالة تاريخية تدل على مرحلة وسطى بين العربية الفـــصحى واللهجات المولدة، ويتضح هذا تماما.

أما أكثر المهتمين بهذا التنوع اللغوي فهو الأستاذ يوشع بلاو الذي نجد لديه اهتمامًا موســـعًا بهـــذا الشكل اللغوي، والذي تُخصص الصفحات التالية لتوضيح رؤيته التي تباينت مفاهيمها في المرحلة الأخيرة من بحوثه عن المرحلة الأولى.

ثالثًا: المرحلة الثانية: إسهامات بلاو :-

يصف المستشرق الألماني فولفديتريش فيشر يوشع بلاو بأنه الباحث الكبير في هـــذا المجـــال[٣٢]، ويتأكد ذلك لنا من خلال العدد الكبير من البحوث التي خصصها بلاو للعربية عامة وللعربيـــة الوســـيطة خاصة، وأبدأ هنا بعرض تصوره من بدايته في الكتاب الذي ألفـــه فـــي عـــام ١٩٦٥ [٣٣]، وهـــو: The Emergence and Linguistic Background of Judaeo- Arabic, A Study of The Origins of Middle Arabic: النشأة والخلفية اللغوية لعربية اليهود، دراسة في أصول العربية الوسيطة.

في هذا الكتاب يذكر بلاو أن ما يعرف بالعربية الوسيطة Middle Arabic هو نتيجـــة لغويـــة للفتوحات العربية الكبيرة أثناء القرن السابع الميلادي، وهذه الفتوحـــات غيّـــرت تـــاريخ العـــرب تمامًـــا، وظروفهم الاجتماعية وطريقتهم في التفكير، ومن ثم فقد أثرت في لغتهم[٣٤].

ويذكر أيضًا أن قبل هذه الفتوحات وأثناء الجاهلية حتى بداية ظهور الرسالة المحمدية كان العرب يعيشون في عزلة تامة عن العالم الخارجي، ويشير بلاو إلى أن هذه العزلة تقدم تفسيرًا لظـــاهرة وجـــود الملامح والسمات القديمة السامية في اللغة العربية بشكل قوى إذا ما قورنت باللغـــات الـــسامية الأخـــرى كاللغة الكنعانية واللغة الآرامية رغم ظهور اللغة العربية بعد هذه اللغات بمئات السنين[٣٥].

ثم يذكر بلاو أن الفتوحات العربية الكبيرة قد غيرت البناء اللغوي بشكل كامل، فقد امتزجت لهجات القبائل الشرقية والعربية وأصبحت غير واضحة كلهجات قبائل مختلفة مجمعة معًا في معسكر حربي، وظهر تنوع من العاميات الجديدة أتى من تأثير لهجة محلية حدثت من اختلاط كل العاميات القديمة، وهناك عامل حاسم هو اتصال العرب بالشعوب الأخرى ذات الثقافات الأكثر تقدمًا في البصرة والكوفة، فقد بدأ عدد كبير من سكان هذه المدن في تعلم العربية والتحدث بها، ولكنهم كانوا يتحدثون العربية بشكل غير صحيح باستثناء فئة خاصة منهم، فالتغيرات/ الانحرافات التي حدثت في الصيغ اللغوية العربية القديمة، لم تكن قاصرة على تغيرات عارضة فقط؛ ولكنها أحدثت تأثيرًا بالغًا في المظهر الفعلي للغة، ليس في الأصوات فقط، ولكن في بنية اللغة(٣٦).

ويفرق بلاو بين العربية الوسيطة (Middle Arabic) والعربية المولدة/ الجديدة (Modern Arabic)، فالوسيطة نقلت لنا نصوصًا أدبية اختلطت فيها العناصر الفصيحة مع غيرها من العناصر، وكان لها أهمية ثقافية، بينما العربية المولدة/ الجديدة تتمتع بدور ثقافي أقل، ولم تقدم لنا أدبًا حقيقيًا بالمعنى المعروف للكلمة، بالإضافة إلى أن المناهج اللغوية لكلا النوعين من العربية مختلفة تمامًا، فبينما ملامح العربية الوسيطة توجد في النصوص التي تزدهي بالعناصر الفصيحة/ الكلاسيكية مع العناصر المصححة خطًا نجد أن اللهجات العربية المولدة/ الجديدة يتم دراستها بكل سهولة من خلال الحياة اليومية(٣٧).

يذكر بلاو أيضًا أن العربية الوسيطة شاعت بين سكان المدن الأصليين، في نهاية القرن الأول الهجري، إلا أن تحديد تاريخ هذا التطور مسألة غير واضحة، إلا أن هناك بردية تشير إلى أن بداية هذا التطور منذ سنة ٨٧هـ، هذه البردية مكتوبة بعربية فصيحة إلا أنها تحتوى على انحرافات عن الفصحى، وهى مكتوبة باليونانية والعربية، والنص العربي فيه يبين لنا غياب النهايات الإعرابية(٣٨).

ويقول بلاو إنه يبدو أن العربية الوسيطة انتشرت من الطبقات الدنيا إلى الطبقات العليا داخل مجتمع المدن في فترة قصيرة، ومنذ بداية القرن الثامن الميلادي بدأ زحف العربية الوسيطة حتى وصل إلى الوثائق الرسمية(٣٩).

ومن هنا فقد بيَّن بلاو دلالة المصطلح في تصوره –آنذاك– وحدد الفترة التي ظهر فيها هذا التنوع، وكان قد ذكر في بحث له نُشر في عام ١٩٦١م(٤٠)، وهو بعنوان The Importance of Middle Arabic Dialects for The History of Arabic: أهمية اللهجات العربية الوسيطة في تاريخ العربية، أقول قد ذكر فيه أن أهمية اللهجات العربية الوسيطة تتمثل في كونها الحلقة المفقودة بين العربية الفصحى واللهجات العربية المولدة/ الجديدة (The Missing Link Between Classical Arabic, and Modern Arabic Dialects) والتفاعل بين العربية الفصحى القديمة واللهجات العربية الوسيطة تقريبًا في المرحلة اللغوية نفسها، فمثلاً اللغة العبرية واللغة الآرامية في تطورها مرت هذه

اللهجات عبر بعض التغيرات التي أثرت في اللغات السامية القديمة في مراحلها المبكرة، ومن هنا فإن البحث في طبيعة العربية الوسيطة ربما يكون ذا دلالة عظيمة للفهم الأكمل للغات السامية القديمة[٤١].

تبدو الرؤية التاريخية واضحة في تصورات بلاو لتاريخ العربية وشقيقاتها الساميات، وتأتي – حسب أهمية العربية– الوسيطة كمرحلة في تاريخها، لها سماتها اللغوية، ويذكر بلاو في بحثه المعنون بـ: أهمية The Importance of Middle Arabic For The Understanding of Neo- Arabic. العربية الوسيطة لفهم تاريخ العربية المولدة/ الجديدة، أنه يمكن تقسيم التاريخ اللغوي للغة العربية إلى مرحلتين: العربية القديمة، وهى مميزة يميل نحو النوع اللغوي التأليفي، والعربية المولدة، وهي مميزة بميلها إلى النوع التحليلي. والمهم في مقال بلاو هذا أنه يذكر فيه أن الثغرة الموجودة بين العربية القديمة والعربية المولدة يمكن صُنع جسرٍ لها من خلال المادة اللغوية المبكرة، وهذه المادة –حسب بلاو– موجودة فيما سماه بالعربية الوسيطة، تلك اللغة التي كُتبت بها نصوص محتوية على سمات لغوية تنتمي للعربية الفصحى (وما بعد الكلاسيكية) وسمات من العربية المولدة، والملامح ذات التصحيح الزائد، وحجم هذه العناصر يتنوع من نص إلى آخر[٤٢]، ونصوص العربية الوسيطة –حسب بلاو– مهمة لإعادة بناء بداية العربية المولدة، وإعادة بناء تاريخي مميز ومفهوم للعربية المولدة [٤٣].

هذه الرؤية التاريخية التي تأخذ مفهوم العربية الوسيطة نحو مفهوم تاريخي واضح نجدها في بحث لبلاو عنوانه: Classical Arabic, Middle Arabic, Middle Arabic Literary Standard, Neo – Arabic, Judaeo – Arabic and Related Terms, : العربية الفصحى، العربية الوسيطة، العربية الوسيطة الأدبية النموذجية، والعربية المولدة، وعربية اليهود والمصطلحات المتصلة بها[٤٤].

ففي هذا البحث نجده ينحو نحوًا متباينًا عن السابق، على الرغم من أنه ينحو نحو اتجاه تاريخي، ذلك لقوله إنه لمألوف عندي التمييز بين نوعين من العربية المولدة: الطبقة الأقدم منهما عادة ما تسمى العربية الوسيطة، بينما الطور اللاحق يشير إلى اللهجات العربية المولدة/ الجديدة، ولا يوجد مبررات/ اعتبارات فوق لغوية (Extra – Linguistic) إذا ما وضعنا مصطلح العربية الوسيطة على النوعين، ومع هذا فإن العربية الوسيطة واللهجات العربية المولدة/ الجديدة تمتلك كل منهما دلالة ثقافية مختلفة؛ ذلك أن الثوابت اللغوية للهجات العربية أثناء القرون الأولى للإسلام عندما نشأت العربية الوسيطة كانت تبدو مختلفة عن الذي كان موجودًا آنذاك، بالإضافة إلى أن المناهج الحديثة التي طبقت على هذين النوعين من العربية المولدة تؤكد اختلاف كل منهما تمامًا[٤٥].

هنا يجعل من العربية الوسيطة واللهجات العربية المولدة نوعًا واحدًا رغم الفروق التي ذكرها، فيضعها تحت مسمى العربية المولدة/ الجديدة (Neo – Arabic)، وهذا صحيح في نظري، وسوف يتضح ذلك آنفا، ثم يكشف عن بعض السمات الخاصة بالعربية الوسيطة؛ فيذكر أن دراسات العربية الوسيطة لم

تبقِ على مصادر مكتوبة بعربية وسيطة عامية خالــصة (Pure Middle Arabic Vernacular)، بــل جاءت من خلال منتخبات متنوعة من ملامح العربية الوسيطة، بمعنى أنها من نــصوص تمتــزج فيهــا الملامح الفصيحة مع ملامح التصحيحات الزائدة/ الخاطئة (Pseudo – Correct Features)[٤٦]. ويذكر بلاو أنه يريد تسمية هذه النصوص بالعربية الوسيطة الأدبيــة المعياريــة (Middle Arabic Literary Standard)؛ ذلك أنه في حدود معرفتنا –حسب بلاو– لا يوجد نصوص مكتوبة بعربية وســيطة عاميــة خالصة، ويذكر أن السبب في ذلك أن المؤلفين قصدوا الكتابة بالعربية الفصحى، لكن نتيجــة لجهلهــم أو إهمالهم جاءت كتاباتهم بالعربية الوسيطة، فملامح التصحيحات الخاطئة متغلغلة في نصوصهم بدرجة مــا، ولذا برز نوع من النصوص التي نسمي تنوعها اللغوي بالعربية الوسيطة الأدبية النموذجية[٤٧].

إذن العربية الوسيطة جاءت على أيدي مؤلفين أرادوا الكتابة بالفصحى، ولكنهم لم يكونوا قــادرين على تمثل الفصحى بكل قواعدها، وإن أضاف بعضهم نوعًا من المــؤلفين كأســامة بــن منقــذ الأديــب المعروف المتمكن من الفصحى، وكتب بها، إلا أنه اتجه في مؤلف له نحو هذا الشكل اللغــوي المــسمى بالعربية الوسيطة، (وسوف نوضح ذلك فيما بعد)، ولذا جاء هذا الشكل اللغوي مشكلاً بملامــح فــصيحة وملامح مولدة وتصحيحات خاطئة، هذا التنوع يسميه بلاو بالعربية الوسيطة الأدبية النموذجية؛ ذلك أنهــا جاءت على أيدي مؤلفين منهم من كتب بها أدبًا وترجمات؛ مثال ذلك ألف ليلة وليلة، والتي جــاءت فــي كثير من نصوصها ناحية نحو هذا الشكل.

ويزيد بلاو الأمر توضيحًا فيذكر أن العربية الوسيطة الأدبية النموذجية تحتوى في مجموعها على سلسلة من المستويات ممزوجة دون حدود من عناصر العربية الوسيطة والفصحى، ومع ذلك تقسم تقسيمًا عامًا إلى ثلاثة أنواع رئيسة؛ هي كالآتي:–

١– نوع من العربية الوسيطة المفصحة Classicized Middle Arabic.

٢– عربية وسيطة شبه فصيحة Semi- Classical Middle Arabic.

٣– نوع ممتزج من العربية الفصحى والعربية الوسيطة[٤٨].

ثم يحاول بلاو تقريب مفاهيمه بمفاهيم الألماني فولفد يتريش فيشر، فيقول إن العربيــة الممزوجــة بالعربية الوسيطة ربما تسمى بعربية ما بعد الفصحى (Post - Classical Arabic) كما هو موضح عند فيشر، فهذا النوع –حسب بلاو – ملائم لما هو موجود عند فيشر بهذا المصطلح، ومن جهة التحقــق مــن العربية الوسيطة فإنها الأكثر ملاءمة للحديث عن العربية الفصحى الممزوجة بالعربية الوسيطة[٤٩].

كما أن بلاو في البحث نفسه يشير إلى أن دراسة العربية الوسيطة في الغالب تعتمد على عربيــة المسيحيين وعربية اليهود، فهي مناسبة للتحقق منها في تعريفها بأنها عربية المسيحيين أو عربية اليهــود، تلك اللغة المكتوب بها نصوص كتبها مؤلفون مسيحيون أو يهود، أو كل نص مكتوب بأيدي مــسيحيين أو

يهود حتى عندما يوجه إلى الجمهور العام الذي يشمل المسلمين أيضًا، فهي تلك النـصوص التـي تكـون عناصر العربية مألوفة فيها كثيرًا، والتي تقدم الأداة الرئيسة للتحقق من العربية الوسيطة (٥٠).

تعريف واضح هنا للعربية الوسيطة يعتمد على كون العربية الوسيطة ليـست مرحلـة تاريخيـة؛ وإنما شكل لغوي جاء على أيدي مؤلفين مسيحيين ويهود، ويزيد الكلام وضوحًا حينما يـذكر أن عربيـة اليهود ظاهرة اجتماعية خاصة للعربية الوسيطة، وهنا يبتعد بلاو بمفهوم العربية الوسيطة عـن المفهـوم التاريخي لها، ويذكر أن اليهود شكلوا جماعة دينية وثقافية واجتماعية متجانسة مستعملة للخـط العبـري حتى في الكتابات التي يكتبونها بالعربية، لها ملامحها الخاصة التي تجعل من عربية اليهود على العمـوم شبيهة بالفروع الأخرى للعربية الوسيطة وظاهرة اجتماعية خاصة (٥١).

إذا كان بلاو في هذا البحث الأخير يبتعد عن مفهوم العربية الوسيطة كمرحلة تاريخيـة ويعرفهـا بكونها نصوصًا تنتمي لبيئات لغوية معينة ناطقة بالعربية أو مستخدمة لهـا، كعربيـة اليهـود وعربيـة المسيحيين، ولعل ذلك جعل بعض الباحثين ومنهم بلانك الذي يذكر أن بلاو يـستخدم مـصطلح العربيـة الوسيطة Middle Arabic بشكل عشوائي للإشارة إلى فترة تقع بين العربية القـديم والعربيـة المولـدة، وأسلوب يقع بين الفصحى والعامية (٥٢). والحقيقة أن بلاو نفسه وهو عالم في هذا المجال قد أشـار إلـى فوضى المصطلحات، بل إنه أشار أنه استخدم مصطلح العربية الوسـيطة (Middle Arabic) بـدلالتين مختلفتين: الأولى بمعنى نوع لغوي من العربية يتعارض مع العربية القديمة، وتنعكس اليوم مـن خـلال اللهجات الحديثة، وبدلالة لغة مختلفة من نصوص عربية اليهود وعربية المسيحيين ومسلمين أيضًا تحتوى على العربية الفصحى وعناصر التصحيح الزائد (٥٣).

وقد كتب بلاو أيضًا في بحث له نشر في عام ١٩٨١م بعنـوان: The State of Research in = The Field of Linguistic study of Middle Arabic حالة البحث في مجـال الدراسـة اللغويـة للعربية الوسيطة، أقول كتب بلاو في هذا البحث ما يفيد انزعاجه من فوضى المصطلحات، وكذلك طـرح مصطلحات بديلة لحل هذه الفوضى المصطلحية في مجال دراسة العربية الوسيطة، وذكـر أن مـصطلح العربية الوسيطة غير واضح تمامًا، وأن بعض الباحثين استخدمه للإشارة إلى العناصـر العاميـة التـي تتغلغل في نصوص عربية القرون الوسطى، وآخرون يشيرون به إلى مجموع مـن العناصـر العربيـة النموذجية والعامية التي تتسم بها هذه النصوص، وبعض آخر يستخدمه بـدون اخـتلاف مـع الـدلالتين السابقتين، ومن ثم يعرض بلاو لاسـتخدام مـصطلح العربيـة الوسـيطة العاميـة (Middle Arabic Vernacular) ليشير به إلى العناصر العامية في نصوص عربية العصور الوسطى، ولتحديد لغـة هـذه النصوص التي تشتمل العربية الفصحى والعامية (٥٤).

وهذا كله يؤكد على أن مصطلح العربية الوسيطة جاء من خلال اســتخدامات المستــشرقين فــي مرحلة بلاو وبلانك وغيرهما – حسب ما يذكر هاري – بدلالات متعددة تؤكد مدى التضارب في استخدام هذا المصطلح، الذي يؤكد هاري أنه استخدم في هذه الدراسات – وكما وضحنا نحن في الصفحات السابقة – ليشير إلى أشكال لغوية أربعة يوجزها هاري في الآتي:-

١- اللغة المحكية لهذه المرحلة، أي مرحلة اللهجات العربية الوسيطة.

٢- نوع لغوي من العربية المولدة (New Arabic).

٣- العناصر اللهجية في كتابات العربية الوسيطة.

٤- كتابات العربية الوسيطة نفسها، التي تحتوى على عناصر لهجة وعناصر من العربية الفــصيحة، وملامح التصحيحات الزائدة ومحاولات معايرة هذه التصحيحات الزائدة/ الزائفة [٥٥].

وإذا طبقنا هذا على كتابات بلاو سنجد الدلالة الأولى منتشرة في كتاباته أو منها فــي بحثــه 1981, B, 1981, A، وكذلك في كتاب له نشر في عام ٢٠٠٢م عن العربية الوسطى المبكرة: A Handbook of Early Middle Arabic يقول في تصديره الفقرة التالية:

Middle Arabic is the missing link between classical arabic and Modern Dialects, and the proper linguistic understanding of both depends in large measure on its study [٥٦].

وترجمة هذه الفقرة هي أن العربية الوسيطة هي الحلقة المفقودة بين العربية الفــصحى واللهجــات المولدة/ الجديدة، وأن الفهم اللغوي المميز لكل منهما يعتمد بشكل كبير على دراستها.

واضح أن هذه الفقرة تؤكد الدلالة التاريخية كما جاءت في الدلالة الأولى لهــذا المــصطلح كمــا وضح هاري، وتأتي الدلالة رقم (٢) عند هاري من خلال بحث لبلاو يــذكر فيــه It is customary to distinguish two types of Neo- Arabic, Its older layer is Usually called Middle Arabic, whereas Its late stratum is referred to as modern arabic dialects[٥٧].

وترجمة هذا: إنه لمألوف التمييز بين نوعين من العربية المولدة، الطبقة الأقدم منها عادة ما تسمى بالعربية الوسيطة، بينما الطور اللاحق يشير إلى اللهجات العربية المولدة.

ومعنى هذا النص أن العربية الوسيطة هي الطبقة الأقدم من العربية المولدة، وكلام هاري عن هذه الدلالة صحيح كما هو في نصوص بلاو، أما الدلالة الثالثة، والتي ذكرها هاري وهى أن مصطلح العربية الوسيطة بمعنى العناصر اللهجية في كتابات العربية الوسيطة، وهذا نجده في استخدام بلاو التالي:

The study of Middle Arabic, The vernacular preserved mainly in Jewish and Christian documents, needs no Justification [٥٨].

وترجمة هذا: لسنا في حاجة لمبرر من أجل دراسة العربية الوسيطة، تلك العامية المحفوظة بشكل رئيس في الوثائق اليهودية والمسيحية.

أما الدلالة الرابعة وهى كون مصطلح العربية الوسيطة دالاً على أن كتابات العربية الوسيطة تحتوى على عناصر لهجية وعناصر من العربية الفصيحة، وملامح التصحيح الزائف، ونص بلاو التالي يؤكد ذلك:

The linguistic structure of Middle Arabic texts is quite intricate, being characterized by The coexistence of (Classical and Postclassical) Old Arabic, (Vernacular) Neo – Arabic; further of Pseudocorrect (including Hyper – correct and Hypo – Correct) elements, which arose through the authors, vain attempt to use correct classical arabic, the language of prestige, and Avoid vulgar Neo – Arabic (٥٩).

ترجمة هذا النص هي: البنية اللغوية لنصوص العربية الوسيطة معقدة تمامًا، كونها متسمة بوجود (العربية الفصحى وما بعد الفصحى) العربية القديمة، و(المولدة) العربية الجديدة (آنذاك في العصور الإسلامية الأولى، مع التصحيح الناقص)، والتي تبرز من خلال مؤلفين؛ إذ يحاولون محاولة عقيمة لاستعمال عربية فصحى صحيحة، لغة المكانة، ويتجنب استعمال العربية العامية تلك العربية المولدة.

ومن كل ذلك نستنتج التعدد الدلالي لمصطلح العربية الوسيطة Middle Arabic كما هو مستعمل عند بلاو وكما وضحنا من خلال نصوصه، وهذا يؤكد اضطراب أو فوضى المصطلح، وربما نلتمس له العذر؛ ذلك أنه قد اقتحم مجالاً وعرًا، حاول أن يجد فيه حدودًا لبنيته وهويته فكان المجال واسعًا، ويضم نصوصًا غزيرة، ولكن الحقيقة الواضحة في كتابات بلاو في هذا المجال في أنه بدأ البحث عن سبل الوصول إلى الحلقة المفقودة التي توصل العربية القديمة بالعربية المولدة، ولذا وجد ضالته في نصوص العربية التي تنتمي إلى كتاب يهود ومسيحيين، هذه النصوص تنتمي ملامحها – حسب ما وضحنا – إلى العربية المولدة، وملامح من الفصحى، وكذلك تتسم بالتصحيحات الزائفة.

هناك اضطراب اصطلاحي واضح، وتعدد للمصطلحات المهمة أحيانًا داخل مجال البحث في تاريخ العربية والعربية الوسيطة على الأخص، ولعل هذا كان سببًا أن يكتب المستشرق الإنجليزي أ.شفتيل (Shivtiel) بحثًا بعنوان: The Maze of Arabic = متاهة العربية، ويخلص بعد عرض تصور بلاو إلى أنه عندما نحاول إتباع تقسيم بلاو للعربية لا يمكن أن نتخلص من الشعور بأن التمييز المقترح من قبل بلاو لأنواع العربية تمييز سطحي (٦٠).

ويذكر شفتيل أيضًا أن تصوير بلاو للعربية الوسيطة مرفوض تمامًا من قبله؛ ذلك أن شفتيل يرى أن بعض الظواهر الفردية التي تتصل بالعربية الوسيطة يمكن مقارنتها إذا تنبهنا جيدًا إلى السمات

الأسلوبية، لذا – فحسب شفتيل– فإن استخدام أشكال نادرة من العربية الكلاســيكية/ الفــصحى بــصورة متكررة من قبل كاتب نص ينتمي إلى العصور الوسطى ربما يعكس بالضرورة تجاهله لاستخدام شــائع أو غير شائع قدر ما يعكس رغبته الشديدة في استخدام أسلوب منمق يقوم على صيغة غير مألوفــة وكلمــات فريدة [٦١].

ولعل ما يقوله جروم لنتان (J. Lentin) مهم في سياقنا هذا؛ ذلك أنه يرى أن مــصطلح العربيــة الوسيطة (Middle Arabic) غامض، لأن تاريخ استعماله يتضمن معاني متعددة لمــصطلح (Middle) (توسط تاريخي، أم توسط لغوي اجتماعي، أم اختلاط/ مزيج لغوي)[٦٢]. وسوف نرى في المرحلة الحالية ومن بداية بحث فيشر – في ظننا – والذي نشره في ١٩٩١م أنه قد توسعت الــرؤى، ويــذكر لنتــان أن التنوع في الرؤى في هذا المضمار ناتج عن تنوع في الرؤى في تاريخ اللغة العربية ذاتها، ويشير إلى أن مصطلح (Middle) في تاريخ أية لغة يستعمل ليشير إلى مرحلة تاريخية، لكن الأمر مختلف مع العربية، ويذكر أنه من خلال فحص أغلب نصوص العربية الوسيطة القديمة التي وصلت لنا، وأدى ذلك إلى إعادة بناء وجهة النظر هذه، ومنذ ذلك الوقت افترضنا أن الازدواجية اللغويــة العربيــة (Arabic Diglossia) وجدت حقيقة في الأزمنة القديمة، بصورة لا تختلف بقوة/ جوهريًا عن الطريقة التي تبدو بها في المراحل اللاحقة [٦٣].

وهذه الرؤية أكثر وضوحًا في مقال إجناسيو فراندو History: of Arabic = تــاريخ العربيــة، يقول فيه أن مصطلح العربية الوسيطة مصطلح يدل على تنوع مستعمل في كل النصوص التــي تحتــوى على انحرافات عن نحو العربية الفصحى، ومن هنا فهذا المصطلح لا يشير إلى مرحلة خاصة من تــاريخ اللغة العربية كما هو دال في تاريخ الإنجليزية Old, Middle, Modern English، وإنما لــيس كــذلك، فالنصوص التي ربما توصف كعربية وسيطة موجودة من السنوات الأولى للعصر الإسلامي حتــى اليــوم الحاضر، وحتى بعض الصيغ الشفوية يمكن أن ترى كعربية وسيطة، إنه لمن المهم أيــضًا أن نلاحــظ أن العربية الوسيطة لا تحتوى على تنوع منفصل من اللغة [٦٤].

كما يذكر فراندو أن هذا المصطلح لا يشير إلى مرحلة تاريخية بين العربية من جهــة واللهجــات الحديثة من جهة أخرى؛ ذلك أن الحقيقية من وجهة نظره – أن بعض نصوص العربية الوســيطة تنطبــق على المستوى اللغوي الأعلى، وكذلك على المستويات الأخرى حتى التنوع الأدنى [٦٥].

هذه الرؤى الجديدة لنصوص العربية التي يصفونها بأنها تشكل عربية وســيطة فحــصت بــرؤى جديدة، هذه الرؤى ابتعدت في غالبيتها عن كونها مرحلة تاريخية من العربية، وأصبح مــصطلح العربيــة الوسيطة كما يقول المستشرق الهولندي كيس فرستيج من الخطأ أن نفهم أي دلالة زمنية/ تاريخية له؛ ذلك أننا سوف نرى فيما بعد أن الأخطاء الموجودة في نصوص عربية معاصرة تــشبه تلــك الموجــودة فــي

نصوص العربية الوسيطة في المرحلة الكلاسيكية [٦٦]. ويذكر أيضًا أن بعض البـاحثين يـرى العربيـة الوسيطة تنوعًا لغويًا مستقلاً/ منفصلاً من اللغة، بمعنى أنه تنوع خاص من العربية يقع ما بين الفـصحى واللغة العامية، لكن هذا لا يتماشى مع الطبيعة الواقعية لتلك النصوص [٦٧].

هذه الرؤى الجديدة فحصت نصوص العربية الوسيطة، وقدمت فرضيات علمية أرى من الأوفـق أن تحلل وتقدم للقارئ العربي كمرحلة مهمة متطورة لتحليل هذه النصوص من جانـب، ومـساهمة فـي تحليل تاريخ اللغة العربية وتنوعاتها من جانب آخر.

رابعاً: المرحلة الأخيرة: تطور مفهوم العربية الوسيطة:-

سوف أعرض هنا محللاً لعدد من الفرضيات/ التصورات الاستشراقية التي جاءت فـي الـسنوات الأخيرة من القرن العشرين وأوائل القرن الحادي والعشرين، أحاول في اختيـاري أن أعـرض لأهمهـا وأكثرها انتشارًا.

وأبدأ بعرض تصور المستشرق الألماني فولفد يتريش فيشر.

رؤية فيشر:-

يتبنى الأستاذ فيشر رؤية خاصة، حيث يرى أنه لا توجد فترة زمنية بين وجود البنيـة الـصوتية والصرفية والتركيبية للفصحى واللهجات العربية المولدة، حتى تقوم كمرحلـة وسـيطة تـسمى بالعربيـة الوسيطة، وبهذا فإنه يرى أن الملامح الفصيحة الموجودة في هذه النصوص (تحت الدراسة) يجب أن ترى لغة عربية مولدة/ جديدة تمامًا (Pure Neo- Arabic)، فلو أهملنا الصيغ ذات التصحيح الزائف في هـذا الصدد فإنه كما أعتقد فإنه ليس هناك ملمح صوتي أو صرفي أو تركيبي في نصوص العربية الوسيطة إلا ويوجد في اللهجات العربية المولدة/ الجديدة أيضًا[٦٨].

ويذكر فيشر إلى أنه كان من نتيجة المناقشة أن بلاو قد غيّر رأيه وبدأ في الحديث عن اللهجـات العربية المولدة المبكرة بدلاً من العربية الوسيطة، ويذكر فيشر نص بلاو الذي ترجمته أنه "الآن أفضل أن أسمى العناصر العامية (Vernacular Elements) الموجودة في نـصوص عربيـة اليهـود وعربيـة المسيحيين (وأحيانًا في كتابات المسلمين) العربية المولدة المبكرة، وتبقى العربية الوسيطة كمصطلح عـام للغة هذه النصوص، والتي تتعاقب فيها ملامح العربية الفصحى والعربية المولـدة وعناصـر التـصحيح الزائف ..." [٦٩].

يذكر فيشر تعقيبًا على نص بلاو هذا، أن الآن أصبح مصطلح العربيـة الوسـيطة الـذي كـان مستعملاً كمرحلة خاصة في تاريخ اللغة العربية أصبح تعبيرًا دالاً على نوع من النصوص محدد بطريقـة لغوية – اجتماعية، وقد اقترح فيشر أن نطلق اسم العربية الوسيطة على كل النصوص المكتوبـة بأيـدي مؤلفين غير قادرين على التعبير بمستوى فصيح باللغة الفصحى، أو الذين لم يقصدوا ذلـك [٧٠]. ويـشدد

فيشر على فحص المستويات اللغوية المختلفة النحوية والأسلوبية، وتحليل الظروف الاجتماعية التي عاشها مؤلفو هذه النصوص، وكنتيجة لهذا الفهم اللغوي الاجتماعي يلاحظ فيشر أن نصوص العربية الوسيطة لم تكن منجزة في العصور السالفة فقط؛ بل إنها مكتوبة في عصورنا كنصوص عربية وسيطة حديثة العهد، يوجد فيها النوع نفسه من الانحرافات عن العربية الفصحى(٧١).

ويشير فيشر إلى أن دور النشر الآن في العالم العربي لديها مصحح لغوي تكمن مسئوليته في التدقيق اللغوي، النحوي، والأسلوبي، كما أن لدى الكتاب العرب – حسب زعمه – صعوبات في ملاحظة كل القواعد المعقدة لنحو العربية الفصحى، ويذكر كذلك أن العناصر العامية لا تبتعد تمامًا عن قصد برغم عدم وقتها، ويتضح هذا في القصص القصيرة والروايات بخاصة، والتي غالبًا ما يفضل المؤلفون أن يجعلوا الحوارات بلغة عامية تقريبًا (٧٢).

فلكي نحسم ما نوع العربية الوسيطة الذي يمثل نوعًا معيناً فإن فيشر يقترح الإجراءات الآتية من التحليل اللغوي: الأول يجب التحقق من: إلى أي مدى المؤلف مُلِمٌّ بالقواعد النحوية للعربية الفصحى، وما إذا كان المؤلفُ قادرًا بكفاءة على استعمالها بدقة، فإذا ثبتت قدرته – حسب زعم فيشر– فإنه يجب أن نصنف الصيغ المنحرفة عن اكتسابه النحوي الفصيح كأخطاء نتجت نتيجة للإهمال، فهذا النوع من النصوص يجب أن يستثنى من العربية الفصحى، أما إذا وجدنا أنّ المؤلفَ قادرٌ على الكتابة بالفصحى وقواعدها الأساسية، لكنه لا يراقبها دائمًا على محمل الجد، بالإضافة إلى عدم تأكده من بعض القواعد، فإننا يجب أن نصنف أخطاءه على اعتبار أنها كتبت بناءً على جهله أو عدم تأكده (٧٣).

فمثل هذه النصوص هي – حسب فيشر – نوعيًا من العربية الوسيطة، لكننا يجب أن نأخذ بعين الاعتبار الصيغ المنحرفة التي استعملها المؤلف عن عمد، والتي تشغل الكلام المباشر خاصة، حيث تكون التعبيرات العامية فيها أكثر من المستويات اللغوية الأخرى (٧٤). ويرى فيشر أنه من خلال تحليل نصوص العربية الوسيطة بهذه الطريقة فإنه لا ضير من إحصاء الانحرافات، بل والصيغ الصحيحة أيضًا، فبالنسبة إلى تقييم الصيغ المنحرفة وتناسبها اللغوي تحتاج إلى أن نعرف إلى مدى ترد الانحرافات وعلاقتها بالصيغ الصحيحة، فتتبع هذه الخطوط يمكن تأسيس ما يمكن أن يسمى بالصورة النحوية (Grammatograph) لنص ما، وإمكانية صنع صورة نفسية لشخص ما، وحسب فيشر بمثل هذه الصورة النحوية يمكن ملاحظة/ توضيح المستويات المختلفة للعربية الوسيطة، فبقدر ما نعتمد على معرفة المؤلف للعربية الفصحى من جهة، وتنوعه اللغوي الأم كعنصر من التداخل من جهة أخرى، فضلاً عن ذلك فإنه يؤخذ في الاعتبار المستوى اللغوي والأسلوبي المسلوك من قبل المؤلف، والمتوقع من قبل القراء أو السامعين وفقًا للموضوع (٧٥).

ويتخذ فيشر من المنهج الذي عرضه طريقة لبحث مادة كتاب: الحكايات العجيبة والأخبار الغريبة، الذي حققه الألماني هانز فير H. Wehr، وأعتقد محققه أنه نص نمطي من العربية الوسيطة،

ومؤلف الكتاب يراه فيشر يؤلف بشكل حسن بقواعد العربية الفصحى (صرفًا ونحوًا) [٧٦]، ويخلص من تحليله للمظاهر اللغوية للكتاب، بأن الكاتب كان على وعي بالنظام الصرفي للعربية الفصحى، بالرغم من أنه يظهر عدم الدقة في بعض الحالات، أما بالنسبة للمفردات فهو غير حريص إزاء استخدام تعبيرات عامية تتفق مع الأسلوب الشعبي الذي يتوافق مع الموضوع، ومن هنا يجب أن نعد العديد من الصيغ المنحرفة عن الفصحى في النص أخطاءً جاءت نتيجة لعدم حرص الكاتب لأنه أثبت قدرته على الكتابة بالعربية الفصحى، فلو كان يريد تصحيح تلك الأخطاء لكان قادرًا على ذلك، فما السبب إذن من وجهة نظر فيشر؟.

لما كان النص موجهًا إلى العوام الذين لا يجيدون العربية الفصحى النقية، فإنه قد تراجع عن هذا العمل الشاق وهو الكتابة بالفصحى، واتجه إلى التعبيرات العامية التي لم يستطع تجنبها؛ لأنه استعملها بنية تقليد الديالوج المستعمل في اللغة المحكية في الواقع[٧٧].

ويتساءل بعد هذا فيشر هل نصنا نص ينتمي إلى العربية الوسيطة بالمعنى المحدد المعطى سلفًا؟ يجيب فيقول أعتقد أننا يجب أن نفضل تسميتها عربية فصحى غير صحيحة، بأسلوب عامي، بعناصر عربية عامية في حواراتها، وهذا يجعل فيشر يزعم أن هذا النص يمثل فصحى خاصة وليست نموذجية/ معيارية Specific Classical Arabic Substandard [٧٨].

ما نلاحظه على رؤية فيشر هو أنه يرفض كون العربية الوسيطة مرحلة زمنية، بل إنّ بلاو – كما يقول فيشر – عدّل من رؤيته القائمة على كونها مرحلة زمنية[٧٩]، وتحليل فيشر قائم على تحليل مستمد من علم اللغة الاجتماعي الذي يرى أن مستويات اللغة بقدر كونها طبقية فإن لكل منها وظائف محددة، فتنتمي الفصحى إلى مكانة عالية لها وظيفتها، وكذلك الأسلوب الممزوج من مستوى فصيح ومستوى عامي له دلالته اللغوية الاجتماعية أيضًا، ومن هنا فإن فيشر يحلل نصوص الوسيطة التي يجدها قديمًا وحديثًا، أي تنطبق على نصوص قديمة ونصوص فصيحة.

فكرة توظيف المستويات اللغوية (وهو موضح تمامًا في الدرس اللغوي الاجتماعي منذ فترة طويلة) واضحة عندما يحلل فيشر نصًا من الكتاب الذي حلله، فخلص إلى القول بأنه لما كان النص موجهًا إلى العوام الذين لا يجيدون العربية الفصحى النقية، فإنه قد تراجع عن هذا العمل ... كما أنه يوحى – أي فيشر – بأنّ التعبيرات العامية في النص جاءت مستعملة بنية تقليد الديالوج المستعمل في اللغة المحكية في الواقع.

في الحقيقة عَبَر فيشر[٨٠] بنصوص العربية الوسيطة التي تصبح بمفهوم فيشر مختلطة (Mixed) إلى أدوات رحبة في علم اللغة الاجتماعي، ويتقدّم البحث في هذا المضمار خطوة جديدة على يد فيشر؛ ذلك لأنه اختلف في تحليله عن بلاو، وسوف نجد الرؤية اللغوية الاجتماعية تسود هذا المجال على يد لغويين مستشرقين.

رؤية بنجامين هاري:-

يتطور مفهوم العربية الوسيطة من خلال رؤية هاري؛ ذلك أنه يرى هذا الشكل اللغوي وفق نظرة كاملة للغة العربية تتسم هذه النظرة بالتباين مع رؤية بلاو وهدفه، ويتأكد ذلك حينما نرى هاري يـزعم أن العربية قد مرت بتعدد الأشكال اللغوية لفترة زمنية كبيرة، ويرى أن نمـوذج التعـدد اللهجـي/ اللغـوي (Model of Multiglossia) يتوافق مع اللغة العربية، فهذا النموذج يمثل نظامًا متعدد التنوعات اللغويـة ضمن متصل لغوي (Continuum) ويرى أننا نعالج في هذا المجال تنوعين لغويين يقفان علـى طرفـي هذا المتصل الذي يشكل من تنوعات مختلفة بينهما، ويرى أنه يمكننا أن نطلق على الطرف اليسار تنـوع (أ) وهو يمثل الطرف الأدبي، والطرف اليمين تنوع (ج) (وهو اللهجـات المحكيـة) والتنـوع (ب) مـن الوسط[٨١].

ويذكر أنّ تنوع (أ) هو العربية الفصحى، وهو التنوع الأدبي، أمـا التنـوع (ب) فيـشير إلـى المستوى الذي استخدم في كتابات العربية الوسيطة، والتي تمثلـت فـي: عناصـر اللهجـات، والعربيـة الفصحى، وكذلك سمات من التصويب اللغوي الزائف، والتنوع (ج) يمثل اللهجات المحكية [٨٢].

ومن هنا فإن الكتاب الذين استخدموا العربية الوسيطة – حسب هاري – قد كتبـوا بـالتنوع (ب) وتكلموا بالتنوع (ج)، على الرغم من أن بعض هؤلاء المؤلفين كانوا قادرين على اسـتعمال التنـوع (أ) وهو العربية الفصحى، إلا أنهم لم يستعملوه غالبًا في الكتابات التي وجهوها للعوام، وإن كان هذا التنـوع (العربية الفصحى) قد أثر بالتأكيد في التنوعين اللغويين (ب) و (ج)، ومن هنا فإن التنوع (أ) كان جـزءًا من الصورة الكلية للغة العربية في العصور الوسطى، وإن لم يكن العربية الوسيطة، بمعنـى أن العربيـة الوسيطة لم تكن معروفة بمرحلة تاريخية (Historical Period) فقط؛ لكنها مستوى لغوي (Linguistic Level) أيضًا[٨٣].

ويذكر هاري نقطتين مهمتين: أولهما أنّ كثيرًا من الكُتّاب الذين استخدموا العربية الوسيطة كـانوا يهودًا أو نصارى لم يتأثروا بالعربية الفصحى/ النموذج (Ideal of al-arabiyya) (ذلـك لكـونهم غيـر مسلمين) قد تركت عناصر عامية في كتاباتهم، أما ثاني النقطتين، فهي أن بلاو لاحظ أن بعض المـؤلفين الذين كتبوا بالعربية الوسيطة، كانوا يحاولون في واقع الأمر أن يكتبوا بالعربية الفصحى (التنوع أ)، لكن بدرجات متفاوتة من النجاح، ولهذا فإننا – حسب هاري – يمكننا أن نجد في كتاباتهم محـاولاتهم الزائفـة لإتباع الدقة اللغوية[٨٤].

ويذكر هاري بعد استعراضه للمصطلحات المستخدمة لتنـوع العربيـة الوسـيطة بأنهـا تتـسم بالتضارب[٨٥]، وأن مصطلح العربية الوسيطة مصطلح غير ملائم ومضطرب[٨٦]، ولذا يقترح أن يطلـق على التنوع (ب) مصطلح العربية الوسيطة الأدبية المكتوبـة (Letarary Written Middle Arabic)،

على أن يكون واضحًا أن هذا التنوع اللغوي قد احتوى بعض سمات العربية الفصحى، وعناصر لهجيـــة، وصيغ من التصحيحات الزائفة، بالإضافة إلى محاولات لمعايرة هذه الصيغ، ولابد أن نضع في اعتبارنـــا – حسب هاري – أن التنوع اللغوي (ب) وليس (أ) كان هو التنوع المستخدم في أغراض كتابيـــة فـــي العربية الوسيطة [٨٧].

ويقترح أن يطلق على التنوع اللغـــوي (ج) مـــصطلح العربيـــة الوســـيطة العاميـــة المنطوقـــة (Dialectal Spoken Middle Arabic)، وهذا التنوع لم يكن إلا تنوعًا منطوقًا [٨٨].

ثم يذكر أنه ينبغي أن يستخدم مصطلح (العربية الوسيطة) بمعنى مفاده الإشارة إلـــى كـــل وجـــوه اللغة التي سادت مرحلة العربية الوسيطة، وليس للإشارة إلى التنوع اللغوي (ج) فقط، ولا للدلالـــة علـــى عناصر لهجية موجودة في التنوع اللغوي (ب) ولا للإشارة إلى العربية المولدة، ولا للدلالة علـــى التنـــوع اللغوي (ب) فقط، لكنه يرى أنه لابد لهذا المصطلح أن يستخدم للإشارة إلى التنوعين اللغـــويين (ب) و(ج) وبقية التنوعات اللغوية التي تنحصر بينهما، ذلك أن العربية الوسيطة قد شـــملت التنـــوع (ب) (العربيـــة الوسيطة الأدبية المكتوبة) والتنوع (ج) العربية الوسيطة العامية المنطوقة [٨٩].

وحول طبيعة نصوص العربية الوسيطة الأدبية المكتوبة يذكر هاري أن بلاو يميز بين النـــصوص التي تكثر فيها السمات اللهجية (والتي يطلق عليها العربية الوسيطة غيـــر المعياريـــة (Middle Arabic Substandard)، والأخرى التي تقل فيها السمات اللهجية وهى العربية الوســـيطة المعياريـــة (Middle Arabic Standard)، ويذكر هاري أنه يرى أن التنوع اللغوي (ب) والتنوع اللغوي (ج) يمثلان طرفـــي متصل لغوي/ كنيتوم فمن الواضح أن بعض النصوص تميل نحو التنوع (ج)، ومن ثَمَّ تظهر فيها صـــيغ عامية أكثر، بينما تتجه بعض النصوص الأخرى نحو التنوع (أ)[٩٠].

ويرى هاري أن بنية العربية الوسيطة تحتوى على العربية الوسيطة الأدبية المكتوبـــة والعربيـــة الوسيطة العامية المنطوقة، إضافة إلى المتصل اللغوي بينهما، ومن ثم فهي تحتوى على تغيـــرات لغويـــة كبيرة في البنية اللغوية[٩١]. ويذكر أن العربية الوسيطة تختلف عن الفصحى، فالتنوع اللغوي (ب) والتنوع (ج) يتسمان بسمات تحليلية، فهما غير معربين، فقد وصل التغير اللغوي إلى جميـــع التنوعـــات اللغويـــة السائدة في العربية وليس لهجات العربية في العصور الوسطى، وابتعد (ب) و (ج) عن الإعراب، بـــالرغم من أن (ب) كان أقل تشبعًا بالسمات التحليلية من التنوع (ج)، ويمثل هذا بونًا شاسعًا بين موقـــف العربيـــة القديمة واللهجات المنطوقة التي رافقتها في العصور الوسطى [٩٢].

ويذكر هاري أيضًا أن الموقف اللغوي المتسم بالتعدديـــة اللهجيـــة/ تعـــدد المـــستويات اللغويـــة (Multiglossic Situation) الكائن في العربية الوسيطة/ العصور الوسطى يختلف عن العربية الحديثة، فاللهجات العربية من النوع اللغوي التحليلي (Analytic)، بينما التنـــوع اللغـــوي (أ) العربيـــة الأدبيـــة

الحديثة، أو كما تسمى أحياناً بالعربية الحديثة النموذجيـــة (Middle Arabic Standard) مازالـــت مـــن النوع التأليفي (Synthetic Type)، وإن لم يكن يماثل تأليفية العربية الفصحى، أما التنوع (ب) في سياق المستويات اللغوية المستعملة في العصر الحديث فطبيعته مختلفة جدًا عن العربية الوسيطة والتـــي تـــسمى باللغة الوسطى، ويستخدم محكيًا بصورة كبيرة في وسائل الإعلام، ويمكن أن يكون مكتوبًا أيضًا (وغالبًـــا ما يكون ذلك في الخطابات وفي المراسلات الشخصية)، لكنه ليس التنوع اللغوي المستخدم في الأدب كما في حالة التنوع (ب) في العصور الوسطى[٩٣].

ويتصور هاري أنّ فكرة المتصل اللغوي/ الكنتينوم مفيدة في هذا المضمار؛ حيث تأتى التنوعـــات اللغوية على طرفي متصل لغوي، وهذه التنوعات بعضها متسم بـــالإعراب وبعـــضها تحليلـــي، وليـــست إعرابية أو تحليلية بصورة صريحة، ويصنع متصلاً لغويًا على الصورة الآتيـــة[٩٤]:-

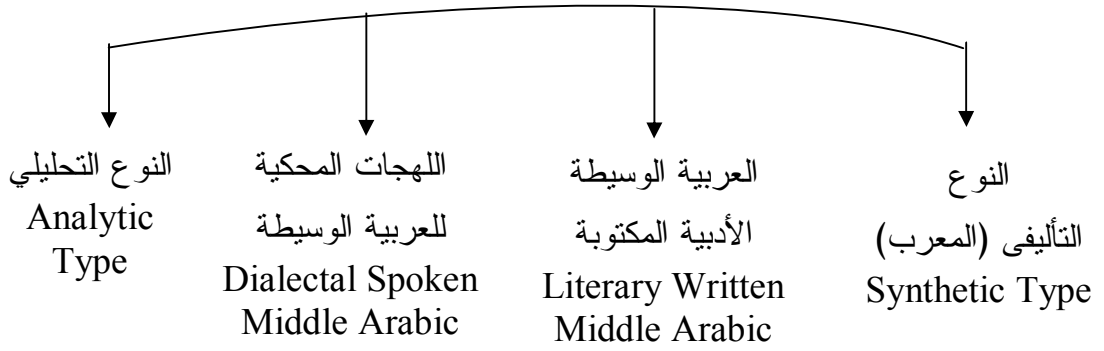

هكذا وصف هاري الموقف اللغوي للعربية الوسيطة من حـــدس المتـــصل اللغـــوي/ أو السلـــسلة اللغوية المتصلة، والتي يشتمل الموقف اللغوي فيها على تنوعات لغوية متباينة، حيث تضم السلـــسلة مـــن آخر الطرفين متنوعين أحدهما الفصيح المعرب، وهو المستوى الأعلى، والآخر التحليلي غيـــر اللهجـــي، وهو الأدنى، وبينهما أشكال لغوية تضم الأدبية المكتوبة واللهجات المحكية، كل هذا وفق تـــصوره الـــذي يرى أن العربية في العصور الوسطى لها تفردها التركيبي الفريد الذي يجعلها متميزة عن العربية القديمـــة والعربية الحديثة [٩٥].

كما أنه جعل السلسلة المتصل لغويًا/ الكنتينوم مسطرة له قاس بها التنوع (ب)، وهو الذي يـــشتمل على سمات لغوية من الفصحى لهجات من العصور الوسطى والعصر الحديث، وإن زعم أن التنـــوع (ب) في العصرين مختلف.

على أية حال جاء وصف هاري متطورًا للعربية الوسيطة عن الذين سبقوه بتطبيقه فكرة الكنتينوم أو المتصل اللغوي، حاول من خلالها وصف العربية في العصور الوسطى والحديثة ليجد أن هذه الفكـــرة

صالحة للتطبيق على الموقف اللغوي في العصور الوسطى والحديثة أيضًا، ليصل من ذلك إلى عـــدد مـــن النتائج والاقتراحات:-

- العربية الوسيطة لم تكن مرحلة تاريخية؛ وإنما مستوى لغوي اســـتخدمه بعـــض الكتـــاب اليهـــود والنصارى الذين لم يتأثروا بالعربية الفصحى.
- طبق فكرة السلسلة المتصل اللغوي (الكنتينوم)، واقترح تسمية المستوى (ب) وهو وسط المستويين (أ) و (ج) ونعته بالعربية الوسيطة الأدبية المكتوبة، وشدد على كون هذا التنوع اشـــتمل علـــى بعض سمات العربية الفصحى، وعناصر لهجية، وصيغ من التصحيحات الزائفة.
- التنوع اللغوي (ب) والتنوع (ج) يتسمان بسمات لغوية تحليلية على عكس الفصحى التـــي تتـــسم بالسمات التأليفية، ومنها الإعراب.
- على الرغم من أنّ هاري يعيب على بلاو وغيره في استخداماتهم لمـــصطلح العربيـــة الوســـيطة (Middle Arabic) بدلالات غير ملائمة ومضطربة، إلا أنه استخدم المصطلح نفسه بدلالات إن لم تركز كثيرًا فيما يقول سوف تقع في الاضطراب في عملية الفهم، فهو يقتـــرح أن يكـــون هـــذا المصطلح لتنوع لغوي وسيط بين الفصحى والتنوع العامي، إلا أنه يستخدمه بدلالة أخـــرى أكثـــر شمولاً تتضح من نصه الآتـــي:

(At the time That Middle Arabic was widely used (tenth-fifteenth centuries), variety a can be considered classical Arabic. In the context of middle Arabic, this variety was not often employed; many authors (especially jews and Christians) did not even have a solid mastery of it. For the purposes of our investigation, variety A, as stated above, is not part of middle Arabic, since middle Arabic should be defined by linguistic level in addition to historical period) (٩٦).

وترجمة هذا النص هي: في الوقت الذي كانت فيه العربية الوسيطة مـــستعملة بكثـــرة (مـــا بـــين المرحلة من القرن العاشر حتى الخامس عشر الميلادي) كان التنوع اللغوي (أ) يمكن اعتبـــاره العربيـــة الفصحى، في واقع العربية الوسيطة هذا التنوع لم يكن مستعملاً كثيرًا، فكثير من الكتاب (خاصـــة اليهـــود والنصارى) لم يكونوا متقنين له، وكما ذكرنا آنفًا فإن التنوع (أ) (العربية الفصحى) لم يكن جـــزءًا مـــن العربية الوسيطة؛ ذلك أننا يجب أن نعرف/ نحدد العربية الوسيطة بمستوى لغوي بالإضافة إلـــى مرحلـــة تاريخية.

ومن ثم يتأكد لنا أن مصطلح العربية الوسيطة Middle Arabic عند هاري يعـــرف بمـــستوى/ تنوع لغوي، وكذلك مرحلة تاريخية (٩٧).

على أية حال يتعدد الباحثون الذين يتناولون العربية الوسيطة والباحثون من المستشرقين خاصـــة، ومن هؤلاء الفرنسي بيير لارشيه .Larcher, P.

رؤية لارشيه للعربية الوسيطة:-

ينتقد لارشيه الذين يرون العربية الوسيطة مرحلة تاريخية بين العربية الفصحى والعربية المولـــدة؛ ذلك لأنه يرى عدم وجود مرحلة من العربية الأدبية وسيطة بين الفصحى والعربية المولدة [٩٨]، ويتـــساءل هل العربية الوسيطة هي لغة طبقة؟، الجدير بالذكر أنه يزعم أن الفصحى ليست سمة تاريخية، وإنما لهـــا سمة لغوية – اجتماعية، فهي – حسبه – تنوع لغوي ذو مكانة، وظهر في القرن الرابع الهجري/ العاشـــر الميلادي [٩٩]، وهى معتبرة على أنها تنوع مفلتر/ مصفي، وأنها منتقاة، وأن العربية الـــشعرية المـــشتركة (التي كتب بها الشعر القديم) لم تكن إلا أسطورة اتخذت كمقدمة للعربية النموذجية [١٠٠].

كما يذكر أن الفصحى ليست لغة أحد، وأنها لا تقابل بالعامية كلغة للبعض مقابـــل لغـــة للجميـــع، فالعامية – حسبه – لغة للجميع، ففي الواقع المزدوج اللغة في العربية، لم يكن الأمر المحـــدد للاســـتعمال اجتماعيًا، وإنما في وظيفة الاستعمال، ولا إلزام باستخدام الفصحى على المتكلمـــين إلا بمعرفـــة القـــراءة والكتابة، ويستشهد في ذلك بمصطلحي الجاحظ في كتابه: البيان والتبيين: خاصة، وعامـــة [١٠١]. ويـــذكر كذلك أن بلانك في تعليقه على بحث لبلاو وذلك في عام ١٩٦٧م، أثار انتباه بلاو أنه اســـتعمل مـــصطلح العربية الوسيطة بدلالتين مختلفتين، ومن هنا يرى أنه قد تحول البحث في هـــذه القـــضية مـــن الدراســـة التاريخيـــة إلـــى الدراســـة اللغويـــة الاجتماعيـــة أو علـــى حـــد تعبيـــره (De l'histoire ă la Sociolinguistique) [١٠٢]، وبذلك يزعم لارشيه في بحث آخر أن بلاو هو اللغوي الذي صنع مفهومًـــا للعربية الوسيطة مر من المفهوم التاريخي إلى المفهوم الاجتماعي[١٠٣].

وتتلخص رؤية لارشيه في كونه يؤثر الرؤية التي ترى تاريخ العربية بالنموذج المـــزدوج اللغـــة (Modele Diglossique)، فتاريخ العربية – حسبه – تتابع من الازدواجيات اللغوية من أرض/ مكـــان إلى آخر، قبل الإسلام كان بين اللهجات العربية والعربية الشعرية المشتركة، ثم بعـــد الإســـلام العربيـــة المشتركة جاءت المشتركة الشعرية والعربية القرآنية التي كانت الأساس للعربية الفصحى، ومن ثم جاءت ازدواجية لغوية بعد الإسلام مكونة من العربية الفصحى مقابل العربيـــة المـــشتركة العـــسكرية المدنيـــة (Koine Militaro-urbaine)، في تتابع أصبحت العربية المشتركة الشائعة على ألسن عـــساكر الجـــيش وداخل المدن الأساس للهجات الحديثة، وكانت العربية الفصحى أساسًا للعربية النموذجيـــة الحديثـــة، أمـــا الازدواجية اللغوية العربية الحديثة/ في العصر الحديث فجاءت من الفـــصحى مقابـــل اللهجـــات العربيـــة الحديثة [١٠٤]. ومن ثم يخرج لارشيه من تصوره لتاريخ اللغة العربية هذا إلى أنه بناء على تلك الحالة فإن افتراض العربية الوسيطة هي الحلقة/ الرباط التاريخي بين تنوعين للعربية هو في الحقيقة رؤية لنمطـــين مختلفين متناقضين بالمعنى المنطقي للمصطلح مع الوضع اللغوي المتسم بالازدواجية اللغويـــة، كوجـــود واقعي/ آني لهذين التنوعين اللغويين، فترى غالبًا كتنوعين من النوع اللغوي نفسه[١٠٥].

ويخلص في بحثه هذا الذي خصصه للعربية الوسيطة إلى أنه من خلال بـــلاو المفهـــوم اللغـــوي الاجتماعي للعربية الوسيطة الذي سيطر تأتي من خلاله صعوبة تفـــسير المعطيـــات؛ وذلـــك أن أغلـــب المستعربين يرون فرضية مفادها أن العربية عرفت وضعًا لغويًا ذا ازدواج لغوي منذ مـــا قبـــل الإســـلام (وإذا لم تكن تعرفها فإنها قد عرفتها بعد الإسلام بقرن واحد)، وبهذا التصور – حسب لارشـــيه – فـــإنهم يتركون مكانًا صغيرًا جدًا للعربية الوسيطة تاريخيًا، ومن هنا فإنّ بلاو نفسه يعطى اليوم لمصطلح العربية الوسيطة دلالة ثقافية أساسية [١٠٦].

يستشهد لارشيه على موقفه هذا بما ذكره فرستيج من أنه سيكون من الخطأ أن تعطى أي معنـــى/ تضمين تاريخي (Chronological Connotation) لمصطلح العربية الوسيطة [١٠٧]، وكذلك يقول أوينز إن العربية الوسيطة في الأساس بناء تاريخي أسلوبى (Historic Stylistic Construct) [١٠٨]، لينتهـــي لارشيه من ذلك إلى سؤال مفاده لماذا نستمر في استعمال مصطلح العربية الوسيطة (Middle Arabic)؟ فاستعمال هذا المصطلح بهذه الدلالة في الحقيقة استعمال مضلل، ففي واقع الأمـــر فـــإن اســـتعمال هـــذا المصطلح كان في بدايته لم يكن بتضمين تاريخي، لكنه فـــي الحقيقـــة إشـــارة تاريخيـــة (Denotation Historique) في النهاية لتحديد تقويم لتغيرات لغوية اجتماعية، ومن هنا فالواجب الحديث عن اســـتعمال مصطلح عربية مختلطة (Mixed Arabic) في الإنجليزية وفي الفرنسية، بمعنى أن يصطلح عليها بهـــذا المصطلح أو كما ذكر أن تكتب (Arabe Moyen) بالفرنسية[١٠٩].

ثم يذكر إنه إذا كان هذا الانزلاق حاصلاً فإنه يمكن القول بأنها أي العربية الوسطى هي الخطأ في العربية الفصحى [١١٠]، ويستشهد في ذلك بما ذكره فرستيج في تعريفه للعربية الوســـيطة بأنهـــا: "الاســـم الجامع لكل النصوص التي تحتوى على أخطاء في نحو العربية الفصحى"[١١١]. ليحـــاول أن يؤكـــد علـــى رؤيته الرافضة لرؤية المصطلح بالمضمون التاريخي، وكذلك اقتراحه تسمية هذا التنوع اللغوي الموجـــود قديمًا وحديثًا بالعربية المختلطة (Mixed Arabic)، وكان قد قوض المفهوم نفسه بالرؤية التاريخية التـــي ترى تاريخ اللغة العربية عبارة عن ازدواجيات لغوية متتابعة، ومن ثم يضيق مكـــان مـــا ســـماه بعـــض الباحثين بالعربية الوسيطة.

<u>رؤية جونفر ميجدل للعربية الوسيطة:-</u>

تعددت اهتمامات ميجدل بالعربية الوسيطة، ويمكن التعرف على آرائها من خلال كتابها. Mixed Styles in Spoken Arabic in Egypt: والأساليب المختلطة في العربية المحكية فـــي مـــصر، وفيـــه تطبق مفاهيم لغوية اجتماعية، على أية حال سوف تتضح رؤيتها من خلال ما سوف نوضحه من كتاباتها، والتي تركز كثيرًا على العربية الوسيطة أو حسب تعبيرها: اللغة الوسطى[١١٢]. وهى تقف عند مـــصطلح (Middle Arabic) وتشير إلى أن مفهومه جاء مرتبطًا في البداية باللسانيات التاريخية[١١٣]، لكـــن فـــي

السنوات الحديثة لم تعد تشير إلى ذلك المفهوم التاريخي (باعتبارها مرحلة بين العربية القديمة واللهجـــات المولدة)، وإنما لتشير إلى أسلوب لغوي متسم باختلاط المستوى الفصيح بالملامح العامية، وتشير إلى قول بلاو بأن مصطلح العربية الوسيطة يستعمل ليشير إلى لغة مختلطة من نصوص العصور الوسطى، وتشير إلى تعريف بلاو في مقال له بعد سنوات من السابق تشير إلى تعريفه النهائي للعربية الوسيطة بأنهـــا لغـــة النصوص التي تتعاقب فيه باستمرار العربية النموذجية والعربية المولدة وعناصر من التصحيح الزائـــف، في درجات متفاوتة [١١٤]، وتعقب على تعريف بلاو هذا فتقول بأن تعريفها للعربية الوسيطة لـــيس علـــى اعتبارها ظاهرة من العصور الوسطى، وإنما العربية الوسيطة يمكن أن توحد في العصر الحاضـــر، كمـــا تشير إلى أن هناك مناقشة من خلال الباحثين في العربية الوسيطة أصبح هؤلاء من خلالها يرحبون بالمادة اللغوية المحكية المعاصرة كونها تدخل في إطار العربية الوسيطة، وبوجهة النظر اللغوية الاجتماعية فـــي هذا الحقل[١١٥].

وتذكر أنها تعي أن الأساس العام في دراسة المستويات/ الأســـاليب المختلطـــة (Mixed Styles) في العربية، سواء المادة المكتوبة أو المحكية، في العصور الوسطى أم الحديثة [١١٦]، تتجه لوضع مـــنهج قائم على علم اللغة الاجتماعي في دراسة الموقف اللغوي واحتكـــاك المتكلمـــين فـــي الموقـــف اللغـــوي المعاصر، وتطبق هذا المنهج في أكثر من بحث من بحوثها، ومن هـــذه البحـــوث بحثـــه: Features of Luga Wusta- Mixed Discourse in Spoken Arabic in Egypt = ملامـــح اللغـــة الوســـطى – النص المختلط في العربية المحكية في مصر، تشير فيه إلى أن اللغـــة الوســـيطة – حـــسب تعبيرهـــا – وسطى، أو عربية مختلطة، وهذه كلها مفاهيم تغطي مجالاً واسعًا لإنتاج لغة من سلسلة متصلة/ كنتينـــوم من أساليب/ مستويات عربية تشير به إلـــى سلـــسلة متـــصلة مـــن المـــستويات اللغويـــة (Diglossic Continuum). ويتضمن مفهوم هذا الكنتينوم عند ميجدل أن المتكلمين يضعون أنفسهم فـــي مـــساحات/ مدى كبير من سلسلة متصلة لغويًا/ كنتينوم، مفاد هذه السلسلة أن اختياراتهم للسمات اللغوية الموجود فـــي ذخيرتهم اللغوية يأتي وفقًا للموضوعات، فاختياراتهم اللغوية منظمة وفقًا لأعراف وتقاليد مجتمعهم، ولكي يتلائم استعمال اللغة مع السياقات المتعددة.

وتذكر ميجدل أنها تلتزم بقوة استعمال هذا المصطلح لتوافقه مع أي مجتمع لغوي عربي؛ وذلك أن المجتمعات اللغوية تقريبًا متعددة التنوعات اللغوية بطريقة أو أخرى [١١٧].

ومن ثم فإنّ ميجدل تركز على أمرين مهمين: وذلك أن العربيـــة الوســـيطة مـــصطلح يتـــضمن نصوصًا عربية معاصرة بالسمات اللغوية التي تشترك مع النصوص اللغوية في العصور الوسطى، والتي تحتوي على عناصر لغوية فصيحة وعامية وملامح التصحيح الزائف، وهذا يأتينا من قولهـــا إن الأســـاس

العام النموذجي لدراسة العربية الوسيطة محكية ومكتوبة من العصور الوسطي والحديثة [١١٨]. وهـذا مـا يتوافق في هذا الموضع مع المستشرق الألماني فولفد يتريش فيشر في تصوره للعربية الوسيطة.

كما أنها تركز على كون العربية متعددة المستويات اللغوية في أي مجتمع عربي، ومن ثم تقتـرب من رؤية بنجامين هاري [١١٩] في هذا الأمر، ومن خلال هذين الأمرين تتأكد الرؤية التي ترى أن مفهـوم العربية الوسيطة يتعدى المفهوم القديم الذي يراه دالاً على كونه يشير إلى النصوص العربية في العـصور الوسطى، وهذه النصوص تحتوي على ملامح لغوية نصيحة ومولدة وتصحيحات زائفـة، أقـول إنّ هـذا المفهوم الثابت في دراسات بلاو يتأكد تجاوزه إلى رؤية ترى أن مفهوم العربية الوسـيطة – كمـا عنـد ميجدل ومن قبلها فيشر وغيرهما – تشتمل على مواد لغوية حديثة وليس من العصور الوسطى فقط.

ويتبقى أن أعرض لرؤية ثلاثة من الباحثين كان تحليل كل منهم عميقًا ومهمًا في دراسة نصوص العربية الوسيطة، وهم جروم لنتان وجمال الدين كلوغلى وكيس فرستيج، وأبدأ برؤية لنتان.

رؤية لنتان:-

يرى جيروم لنتان (Lentin, J) بأنه من خلال تحليل/ فحص معظم نصوص العربيـة الوسـيطة القديمة التي تناولناها قادتنا إلى إعادة النظر في وجهة النظر في هذه القضية، فمنذ ذلك الوقت نفتـرض أن الازدواجية اللغوية كانت موجودة في الأزمنة القديمة حقيقة بصورة لا تختلف فعليًا عن الطريقة التي تبدو في مراحل لاحقة [١٢٠].

وهنا يقترب من رؤية لارشيه الذي يدعي أنّ العربية مرت بازدواجيات لغوية متتابعـة فـي كـل مراحلها، على أية حال يرى جروم لنتان أنه ليس هناك سببٌ مقنعٌ في إدعـاء أن مـا يُـسمى بالعربيـة الوسيطة لم يظهر مع المرحلة المبكرة الموثقة (Earliest Documented Period)، وبالطريقة نفـسها، فإنه عادة ما يتحدث عن العربية الوسيطة كمرحلة وسيطة فقط كما عند بلاو، لكن ليس هناك سبب مقنـع إلى إرجاع هذا التنوع إلى هذه الفترة/ المرحلة، ويرى أن نصوص العربية الوسيطة كثرت في الحقيقة في المراحل اللاحقة فعلى الأقل حتى عصر النهضة التي تبدو أنها مطروحة في استعمال كتابي واسع[١٢١].

ويرى أنه مهما كانت التحديدات التاريخية فإنه يمكن أن نشير بالعربية الوسيطة إلى لغة عدد مـن النصوص العربية المميزة لغويًا (ومن ثم أسـلوبًا Stylistically) وطبيعـة مختلطـة Mixed Nature، وكتجمع من ملامح لغوية نموذجية وعامية مع نوع ثالث ليس نموذجيًا ولا عاميًا، ولكي نكون أكثـر دقـة فإن العربية الوسيطة تتضمن كل المستويات المكتوبة/ الطبقات المكتوبة من اللغة التي يمكـن أن تعـرف على كونها لا تنتسب إلى العربية الفصحى ولا إلى العربية العامية، وأنها تبدو كوسـيط أو تنـوع متعـدد الأشكال، ومعطى من تداخل تنوعين قطبين (Two Polar Varieties) في سلسلة متصلة لغويًا/ كنتينـوم (Continuum)، لهذا السبب فإنها اكتسبت ملامحها المميزة [١٢٢].

ويذكر لنتان أنه إذا كانت العربية الوسيطة تشير إلى تنوع (إلى تنوعات) من العربيــة المكتوبــة، فإن السبب في ذلك عدم وجود أي شاهد مباشر لأي تنوع عربي مختلط شــفوي/ محكــي قبــل العــصر الحديث، لكن لطبيعة الاختلاط اللغوي في العربية الوسيطة تبرز كثير من التشابهات لمــا هــو يمكــن أن يكون موجودًا الآن في بعض التنوعات المختلطة المحكية (المثبتة بالكتابــة أحيانًــا فــي حالــة الخطــب السياسية، وفي مناقشات البرلمان، أو في المحاكم القانونية) بهذه الرؤية – حسب لنتان – فإنــه لا شــيء يمنعنا نظريًا، ومن خلال الطبيعة الخاصة للغة المحكية والمكتوبة التي تأخذ مكانًا في تفــسير/ ووصــف العربية الوسيطة المكتوبة في فترة ما قبل العصر الحديث على كونها ينتسب إليها مجموع كبير يمكــن أن يسمى بالعربية المختلطة [١٢٣].

وحول نصوص العربية الوسيطة يذكر لنتان أنها لغة عدد كبير جدًا من النصوص منها: مــا هــو نقوش، ووثائق أرشيفية عامة أو خاصة متماثلة (وهى معظم المخطوطات القديمة علــى ورق البــردي)، ووصف الرحلات، والأحداث التاريخية، والعلمية (مثل الطبية والطبيعية) والمعاهــدات والكتــب الفقهيــة والدينية أو الكتابات الفلسفية والصوفية، والآداب الجميلة تنتمي إليها، ليس الأدب الشعبي فقط بل إن لغــة ألف ليلة وليلة أيضًا والعديد من النصوص من الأدب التعليمــي (مثــل أعمــال عــز الــدين التنــوخي ت٣٨٤هـــ/ ٩٩٤م)، وقد يعتقد شخص ما أن لغة نصوص اللغة العربيــة الفــصحى (وتــشمل الكتــاب المشهور الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (٣٥٦هـــ/ ٩٢٧م) والذي غالبًا ما يُعــدل/ يقــيس مــن قبــل الناشرين، ويمكن نسبته إلى حد ما إلى اللغة العربية الوسيطة، فحسبه فإنه في العصور الوســطى بعــض الأعمال الأدبية كانت مكتوبة بالعربية الوسيطة، مع مقدمة وخاتمة بالعربية الفصحى الأدبية [١٢٤].

ويرى أن هذا الوصف/ العرض – يقودنا إلى إعادة النظر في الفكرة المكتسبة والتي تتــصور أنّ العربية الوسيطة لغة المؤلفين الذين لا يتقنون العربية الفصحى كفاية، ولذا فإنّ مستواهم كان هذا المستوى اللغوي..، لكن يلاحظ أنّ كثيرًا من الكتاب ترك لنا أعمالاً مكتوبة بكل من العربيــة الفــصحى الــصافية وأعمالاً مكتوبة بالعربية الوسيطة، ومن ثم يخلص لنتان من هذا إلى أن حال هؤلاء الكتاب يمكن أن يلغي فكرة كون هؤلاء الكتاب غير قادرين على الكتابة بالعربية الفصحى[١٢٥].

كما يخرج أيضًا ببعض الفرضيات منها أن اختيار هؤلاء الكتاب للكتابة بالعربية الوسيطة لم يكــن اعتباطيًا (Arbittary)، ويحتمل أنه كان لاعتبارات أخرى، منها طبقة جمهور القراء الذي يوجهون لهــم الكلام، كما يفترض شيئًا آخر وهو أن بعض الكتاب كانوا يتوجه نحو العربية الوسيطة أكثر من العربيــة الفصحى الأدبية، اللغة التي لا يشعرون براحة في استعمالها، ويعطون أفضلية للعربية الوسيطة، ولوجهــة النظر هذه ينبغي أن نلاحظ أن العربية الوسيطة سهلت لكل من الكتاب والقراء (وللأميــين الــذين كــانوا يستمعون للنصوص وهى تقرأ عليهم) الوصول إلى الثقافة المكتوبة (Written Culture)[١٢٦].

ورغم أنى أتصور أن لنتان يبالغ في تفضيل الكتّاب للعربيـــة الوســـيطة إلا إذا كـــانوا يهـــودًا أو نصارى، لكن بالفعل وُجدت كتابات لأسامة بن منقذ الأديب المعروف بلغة تنتمي إلى العربية الوسيطة.

وحول تقييس العربية الوسيطة يذكر لنتان أنه يوجد في كل النصوص المكتوبة بالعربية الوســـيطة بغض النظر عن تبايناتها عدد كبير من السمات المشتركة أو عمليات مشتركة عامة بخاصة فيمـــا يتعلـــق بالسمات (ليست نموذجية أو عامية) (١٢٧)، ويرى أنه من المستحيل وصـــف العربيـــة الوســـيطة بكونهـــا الاستعمال الشاذ (Wild Use) للغة، بل على النقيض من ذلك تجد استعمالات راســـخة تمامًـــا كـــسلاسل أسلوبية (Stylistic Hierarchies) بين التنوعات اللغوية، كما أن هذه الأداة اللغوية صيغت وأتقنت مـــن خلال قرون بالتعامل مع الازدواجية اللغوية التي أسهمت في خلود التقاليد القديمة (التـــي تـــشتمل علـــى الأمور الكتابية) التي رفضت من خلال المعيار الفصيح، واقترح تغييرها بأخرى حديثة، ومـــن ثـــم فـــإن العربية الوسيطة بقيت وسيلة حية للتواصل، تزداد غنى بملامح جديدة مع كل مرحلة زمنية (١٢٨).

ويرى لنتان أننا نلحظ اختلافات وفقًا للمكان والزمان والطوائف، فمن حيث المكان فـــإن العربيـــة الوسيطة ونصوصها تتأثر بمعجم العربية الفصحى وفي النحو بشكل أقل، وأن الاختلاف بـــين النـــصوص يأتي وفقًا للخلفية اللهجية للكاتب، لكن هناك حقيقة مهمة هي أن السمات اللهجيـــة متوازنـــة (Parallel)، يجب أن نضيف أنه على الأقل بعض السمات اللهجية تتماثل مع معيار ما، بمعنى أنهم اقترضـــوها مـــن لهجات ذات مكانة عالية (Prestigious Dialects)، وهذا يشير إلى أنه لا يمكن دائمًا تفسير ذلـــك علـــى أنه صادر مباشرة من لهجة النساخ، لكن على كونه من اللهجة الـــسائدة المحيطـــة بالـــسياق الاجتمـــاعي والسياسي، ويضرب مثالاً لذلك بتأثر اللهجات التي كانت لها مكانة ثقافيًا أو تتمتع بتقليد أدبي لـــه مكانـــة (مثل التقليد الأندلسي في شعر الغناء في شمال أفريقيا)، أو تحت تأثير شخصي مهم خاص (مثـــل تـــأثير سعديا أو ميمون في عربية اليهود)، فلكل هذه الأسباب يرى لنتان أنه ليس ممكنًا دائمًا بخاصة فـــي حالـــة النصوص العامية التحديد الحقيقي للمنطقة الجغرافية للنصوص ومؤلفيها، وإنه من الصعب أيـــضًا تحديـــد العربية الوسيطة المحلية المشتركة الموجودة مثلاً كلغة مشتركة في النصف الثاني من الألفية الأولى مـــن الهجرة، التي يعتقد بلاو أنه يمكن تحديدها (١٢٩).

وحول زمن هذه النصوص فإن لنتان يرى أن العربية الوسيطة خضعت لتحولات عبـــر تاريخهـــا الطويل، فوقعت تحت تأثير تطور اللهجات، أو تطور اللغة الفصحى، لكن هذه التغيـــرات مـــازال هنـــاك قصور في دراستها ولم تعرف جيدًا، فيجب ألا نستخف بها؛ لأن لها تقليدًا طـــويلاً، فالعربيـــة الوســـيطة تراكمت/ تجمعت مثل أية لغة أدبية لها تدوين/ مواد لغوية كبيرة مثل العربية الفصحى، فتـــاريخ العربيـــة الوسيطة مندمج في هذه المواد وأنها فيما يتصل بذلك في متناول المؤلفين، كما أن أي ظاهرة حديثـــة فـــي هذا النمط غالبًا ترجع إلى أخرى قديمة افتراضيًا(١٣٠).

أما الجماعات المستخدمة لهذا الشكل فإن لنتان يذكر أنه يتردد كثيرًا أن العربية الوسيطة مرتبطة أكثر باليهود والنصارى أكثر من المسلمين، ذلك أن هذه المجتمعات كانت غير خاضعة أيدلوجيًا ولذلك حتى تتطلب الإتقان/ الامتياز في تعليم اللغة الفصحى وممارستها محكية ومكتوبة، هذه النقطة الأخيرة مشكوك فيها شأن كل الإدعاء، فمن خلال أسباب أخرى يمكن أن تكون نتيجة لتطور دراسات العربية الوسيطة التي كانت في البداية مخصصة أصلاً/ أساسًا للنصوص التي بدأت في هذه المجتمعات (كترجمات أو تفاسير لنصوص دينية من اليونانية والسريانية أو العبرية والآرامية)، ومن المحتمل أيضًا أن تكون الحقيقة أن كثيرًا من النصوص جاءت من خلال مؤلفين مسلمين تمت دراستها في طبعات معدلة/ مقيسة وفقًا للفصحى، ويذكر أنه يظل حقيقة أن في بعض الحالات يمكن اعتبار العربية الوسيطة المسيحية، والعربية الوسيطة اليهودية تنوعات لغوية خاصة من العربية الوسيطة [١٣١].

ويتساءل لنتان لماذا استطاعت العربية الوسيطة أن تبقى موحدة (Unified) عمرًا طويلاً؟ ليجيب قائلاً يمكن أن نذكر سببين رئيسين: الأول أنها تتشابه مع العربية الفصحى الأدبية، فالعربية الوسيطة كانت وسيلة لتواصل مكتوب في مجالات عديدة للحياة الاجتماعية والثقافية بين مجتمعات مختلفة معينة بها، ولذا قيست/ قعدت لمدى كبير. الثاني يمكن أن نعتقد أن العربية الوسيطة ورثت من خلال تقليد طويل ربما يرجع إلى أزمنة ما قبل الإسلام، كتنوع من العربية عابر للهجات والمجتمعات، وقد وحد هذا التنوع في الواقع الفعلي، الذي استمر حيًا حيث واكب حياة موازية للعربية الأدبية التي قعدت في القرنين الثاني والثالث للهجرة، وأبقوا على السمات القديمة [١٣٢]. هذا الزعم من قبل لنتان يؤكد الرؤية التي ترى أن العربية عاشت ازدواجيات لغوية في كل عصورها، وهذا يخالف رؤية أخرى ترى رؤية قريبة من التي تصورها العلماء العرب التي ترى عربية قديمة أتت منها الفصحى ثم العربية المولدة، ويمثل هذه الرؤية عدد من الباحثين في هذا المضمار منهم بلاو وفرستيج [١٣٣].

على أية حال كانت رؤية لنتان [١٣٤] للعربية الوسيطة هكذا، ونرى من خلاله تأسيسًا للعربية الوسيطة، ولم يترك أن يفحص وظائف هذا الشكل اللغوي، فيقرر لنتان أن أهمية العربية الوسيطة لا يجب أن نقلل من أهميتها، فكميا هي لغة جزء مهم من الإنتاج المكتوب بالعربية، وثقافيًا يجب علينا إعادة النظر في كثير من الحالات، حتى لو أن بعض هذه الحالات تنسب إلى هذه الفئة/ التنوع كما هو الحال بالنسبة لكثير من جمهورهم، ويرى لنتان أنه بخصوص هذا الجمهور فإنه لابد من التأكيد على أن العربية الوسيطة ظلت قروناً هي الأساس وإنْ لم تكن الوحيدة فقط للإطلاع على جزء من الثقافة المكتسبة، خاصة للأميين، وبهذا المعنى – حسبه – فإنه يمكن أن توصف بأنها وسيط ثقافي (Cultural Mediator) [١٣٥].

ويرى لنتان كذلك أنه من وجهة النظر اللغوية فإن العربية الوسيطة ذات أهمية نفيسة للغوي والمؤرخ للغة العربية؛ ذلك أنها تحتفظ بسمات قديمة جدًا، فهي تبرهن بالدليل على أنها تزامنت مع

لهجات، وفي الوقت نفسه هي بوتقة تبرز فيها ظواهر لغوية جديدة، والتي ربما تكون قد امتدت إلى اللغة الأدبية كما امتدت إلى العاميات، ويشير إلى أنها تساعدنا في تجنب التأويلات الخاطئة للمفردات والأبنية اللغوية في نصوص العربية الفصحى [١٣٦].

كما يشير إلى أن وظيفة التنوعات الوسيطة أُغفلت سواء أكان من العرب أو المستعربين؛ ذلك لأن سببه المكانة الكبيرة التي عليها العربية الفصحى، وإلى أسباب النزعات التطهيرية والنخبوية (Purism and Elitism) التي مورست ضد كل ما ليس منتميًا للغة العربية الفصحى، ومع هذا فإن العربية الوسيطة – حسب زعم لنتان – ذات أهمية أساسية للفهم الصحيح لطبيعة وتاريخ اللغة العربية[١٣٧].

ولعل هذه الأهمية هي التي جعلت هذا الشكل اللغوي ذا أهمية بالغة وجلب عددًا من الباحثين للبحث [١٣٨] فيه، وتبرز أسماء عدد كبير من الأوروبيين، وتخلو في الغالب من الباحثين العرب ما خلا بعض قليل من العرب أمثال د. مديحة دوس وهى أستاذة للغة الفرنسية في كلية الآداب – جامعة القاهرة و د. عمرو حلمي إبراهيم، وهو كان من قسم اللغة الفرنسية في آداب القاهرة، ولكن استقر في الجامعات الفرنسية، ومن هنا يتضح عدم وجود أي باحث في حدود علمي ينتمي إلى أقسام اللغة العربية في الجامعات العربية، ليؤكد الصورة التي عليها البحث في مجال اللغة العربية، على أية حالة نخرج من عرضنا لرؤية جروم لنتان بالآتي:-

- من خلال دراسته لهذا الشكل اللغوي يؤكد أن الازدواجية اللغوية، كانت موجودة في العصور القديمة للعربية بصورة حقيقية لا تختلف فعليًا عن الطريقة التي بدت عليها في المراحل اللاحقة، ومن ثم فإنه ليس هناك سبب مقنع في إدعاء أن ما يسمى بالعربية الوسيطة لم يظهر في المرحلة المبكرة الموثقة، وأنه ليس هناك سبب مقنع إلى إرجاع هذا التنوع اللغوي إلى مرحلة وسيطة، ذلك أن نصوص العربية الوسيطة كثرت في الحقيقة في المراحل اللاحقة، فعلى الأقل حتى عصر النهضة التي كثرت فيها الكتابات التي تنتمي إلى هذا التنوع بشكل كبير.
- لا شيء يمنعنا نظريًا من رؤية العربية الوسيطة المكتوبة في فترة ما قبل العصر الحديث على كونها ينتسب إليها مجموع كبير يمكن يسمى بالعربية المختلطة.
- يرى من خلال عمله أنه لابد من إعادة النظر في الفكرة التي تصور أن العربية الوسيطة كانت لغة المؤلفين الذين لا يتقنون العربية الفصحى كفاية، ذلك أنّ عددًا من الكتاب ترك لنا أعمالاً مكتوبة بكل من العربية الفصحى والعربية الوسيطة، ولم يقف تصوره عند هذا الحد؛ بل يرى أن الكتّاب لم يختاروا الكتابة بهذا الشكل (العربية الوسيطة) اعتباطيًا، بل يحتمل أنه كان لاعتبارات أخرى، منها فئة جمهور القراء الذين يوجهون لهم الكلام، كما يفترض أن بعض الكتّاب كانوا يتوجهون إلى العربية الوسيطة؛ لأنهم لا يشعرون براحة في استعمال الفصحى، وأن العربية الوسيطة سهلت لكل من الكتاب والقراء الوصول إلى الثقافة المكتوبة.

- ويفحص لنتان هذا الشكل من خلال الزمان والمكان والجماعات التي استعملته ليرى أن وظيفة هذا الشكل لا يجب أن نقلل من أهميتها؛ فكميًا هي لغة جزء مهم مـــن الإنتـــاج المكتـــوب بالعربيـــة، وثقافيًا، من ناحية الجمهور ظلت العربية الوسيطة قروناً الأساس لجزء من الثقافة المكتسبة، وبهذا المعنى فإنه يصفها بأنها وسيط ثقافي، ويذكر أن أهميتها أساسية للفهم الصحيح لطبيعة تاريخ اللغة العربية. وأنتقل إلى رؤية أخرى مهمة أيضًا في توضيح طبيعة هذا الشكل اللغوي.

رؤية جمال الدين كلوغلي (١٣٩).

هناك فقرة مهمة فيما كتبه كلوغلى يقول فيها: "إن المناطق الجغرافية التي قُبل استعمالها اللغـــوي من النحاة العرب والمرحلة الزمنية كانت بالشكل نفسه قد حددت للاعتداد بهما، وهـــذا يعنـــى أن النحـــو المكتوب/ المنتج من خلال أعمال النحويين لا يمثل في أفضل الأحوال إلا استعمالاً محددًا بمرحلة معينـــة من الزمن، وهذا مفهوم، لكنه أيضًا مقيد بمجموعة فرعية من الاستعمالات، وهذا يعنى أن هـــذا النحـــو لا يمكن أن يعكس بصدق الواقع اللغوي لأي جماعة ناطقة بالعربية في أي مرحلة معينة، ومعنـــاه أن نحـــو العربية الفصحى/ الكلاسيكية المكتوب/ المنتج من قبل النحويين العرب لا يمكن أن يكون معتبرًا على أنـــه مؤسس من وصف للعربية الفصحى مسموع بأي معنى تاريخي"(١٤٠).

هذه الفقرة المهمة لفهم فكر لغوي عربي عمل مع لغويين عالميين في الجامعات الفرنسية، وعلـــى أية حال فإن له تصورًا مهمًا لفهم تاريخ العربية، وكذلك العربية الوسيطة التي خصص لها بحثًـــا منفـــردًا يذكر فيه أن أعمال بلاو كانت سببًا في الاعوجاج/ الاضطراب الاصطلاحي الذي لحق بهـــذا المـــصطلح (١٤١)، ويتساءل ما الفائدة/ المصلحة من تصور العربية الوسيطة على أنها سلة مهملات (Fourre-Tout) لشيء تاريخي؟ أليس هذا عبثًا علميًا باعتبارها لا تحتوى على مجموعة نصوص مترابطة (١٤٢). ثم يقـــول كلوغلي إنه وحتى لو قبلنا بمصطلح العربية الوسيطة على أنه سلة مهملات فإنه يجب لكي نتكلم عنـــه أن نضيف مفهومه حسب معايير/ مقاييس ثلاثة على الأقل، يجب أن تذكر، منها:

- المعيار التاريخي Le critère historique، إلى أdf مرحلة مؤرخة يرجح هذا النص في العربيـــة الوسيطة ...
- المعيار الجغرافي Le critère geographique، من أين جاءت نصوص العربية الوسيطة ....
- المعيار اللغوي – الاجتماعي Le critère sociolinguistique، ما هـــو الانتمـــاء الاجتمـــاعي والديني لمؤلفي نصوص العربية الوسيطة (ومن المحتمل المخاطبين)(١٤٣).

ثم يفسر المعيار التاريخي ويذكر أهميتها، ثم يذكر أنه يستطيع بوجهة النظر هذه اختيار تقسيم من ثلاث مراحل: **المرحلة القديمة**، والتي تبدأ – حسبه – مع المخطوطات الأولى مـــن العربيـــة الوســـيطة، بمعنى الأكثر قدمًا من البرديات في العصور الإسلامية الأولى (في القرن السابع الميلادي) حتـــى القـــرن

الثالث الهجري (التاسع الميلادي)، في هذه الفترة الأولى التي كانت قد بدأ تقعيد العربية فيها [١٤٤]، ويـــذكر أن في هذه المرحلة الأولى نرى مادة مهمة من البرديات يرجع أصلها إلى مصر وسوريا، ويزيد عـــددها بالتدريج ليصل إلى الآلاف في نهاية هذه المرحلة، وهذه النصوص – حسبه – وثـــائق إداريـــة وتجاريـــة (عقود ...) في غالب الأحيان ثم كتابتها من قبل مسلمين، ثم يقول إنه يدعو إلى إضافة جزء من نصوص مكتوبة من خلال المجتمعات المسيحية في جنوب فلسطين وفي سيناء، ويجب إدراجها في هـــذه المرحلـــة من العربية الوسيطة [١٤٥].

ثم يذكر **المرحلة الثانية** التي يذكر بأنه يمكن اعتبارها عربية وسيطة للعصر الوســـيط (Moyen Arabe Medieval) حسب اعتبار هوبكنز، والتي تبدأ – حسب كلوغلى – من القرن العاشر المـــيلادي، أي في وقت الوجود المادي والحضور المؤسسي لقواعد النحو العربي، وهذه المرحلة نسبت إليها غالبيـــة نصوص العربية الوسيطة، تنتمي إلى المسيحيين وكذلك اليهود، وكذلك نصوص المسلمين أيضًا، ويـــذكر منها في مجال الأدب، ومنها سيرة الظاهر بيبرس[١٤٦]، وكذلك ألف ليلة وليلـــة، وكـــذلك ســـيرة عنتـــرة، وسيرة بني هلال [١٤٧].

المرحلة الثالثة من العربية الوسيطة عند كلوغلى، وهى مرحلة يسميها العربية الوسيطة الحديثـــة (moyen arabe moderne)، والتي تبدأ – حسبه – مع النهضة الحديثة وهى مستمرة حتى الآن، وينتقـــد فرستيج الذي يرى أن العربية الوسيطة في عهدنا أخطاء بالنسبة لنحو العربية الفصحى، وهـــو يـــذكر أن بهذا الزعم يفرغ هذا المصطلح من كل معنى، أيمكن أن يتابع الموقف في أن ســـياق إنتـــاج النـــصوص المكتوبة بالعربية، وأنه مستمر في الخضوع اليوم للضغوط الاجتماعية والمادية والثقافية نفسها التي كانت تتحكم في هذا السياق في عهد ما قبل العصر الحديث، ويرى أن فرســـتيج لا يتـــردد فـــي فعـــل الـــشيء نفسه[١٤٨].

وينتهي من خلال توضيحه للبعد التاريخي للعربية الوسيطة بأنه من خلال هذه المناقشة في البعـــد التاريخي لها وتحديدًا في تعريفها بأنها النصوص المكتوبة بعربية غير نموذجية (arabe nonstandard) في المرحلتين اللتين تم تحديدهما آنفًا، وتحديد أكثر في المرحلة الطويلة من العربية الوسيطة في العـــصر الوسيط (médiéval)، ذلك أنه من خلال هذه المرحلة فقط كان هناك وجـــود للغـــة شـــرعية (langue lègitime) في البيئة المحيطة وهذا شيء مؤكد [١٤٩].

وحول البعد الجغرافي للعربية الوسيطة يذكر كلوغلى أن التصنيف الجغرافي لنـــصوص العربيـــة الوسيطة يعيد إنتاج التقسيمات الكلاسيكية للجغرافية اللغوية لمجال العربية، فهناك نـــصوص تعـــود إلـــى منطقة شبه الجزيرة العربية، وبلاد ما بين النهرين، والشرق الأدنى: مصرية وغربية. وهذا التقسيم يتوافق مع الواقع، وبهذا المعنى نجد بحسب الأصل الجغرافي لنصوص العربية الوسيطة سمات لهجيـــة خاصـــة

بكل مناطق اللهجات الكبرى [١٥٠]، هو بهذا يتصور أن نصوص كل منطقة تتحدد وفقًا لسمات لهجية لهـذه المنطقة الجغرافية.

أما البعد اللغوي – الاجتماعي فإنه يرى أن المادة الخاصة بنصوص العربية الوسيطة توزع هـذه النـــصوص فـــي ثـــلاث مجموعـــات كبيـــرة بحـــسب الانتمـــاء الاجتمـــاعي/ الطـــائفي (appartenancecommunautaire) للمؤلفين: نصوص عربية وسيطة لمـسحيين ويهـود ومـسلمين، ويرى أن نصوص العربية الوسيطة لمؤلفين مسيحيين تقدم سمات لهجية أكثر، وهذا ما يتفق مع تصور أن هذه النصوص توضح إشكالية للتاريخ اللغوي [١٥١].

أما نصوص العربية الوسيطة اليهودية، فهي مكتوبة بالكتابة العبرية، كما أنها تتسم بوجـود عـدد كبير من الكلمات والتعبيرات المقترضة مباشرة من العبرية، وأن نسبة هذه الكلمات ربما تجعل فهم النص مستحيلاً لغير اليهودي بعيدًا عن مشكلة استعمال الألفبائية العبرية، واللافت للنظر أنه في هذا السباق مـن الاقتراض فإن الكلمة العبرية خضعت غالبًا لتكييفات حسب بنية الكلمة العربية [١٥٢].

أما نصوص العربية الوسيطة المنتمية لمسلمين، فهي – حسب كلوغلى – الأكثر غزارة وتنوعًـا، ويشير إلى أن المكون الأكثر أهمية والأكثر خصوصية للعربية الوسيطة المستخدمة مـن قبـل المـؤلفين المسلمين في العصر الوسيط هذا التطور في استعمال واسع ومتنوع لهذا النوع من العربية فـي الكتابـات الأدبية، وذلك من خلال مؤلفات متنوعة مثل ألف ليلة وليلة وسيرة بيبرس [١٥٣].

ويذكر شيئًا جديرًا بالملاحظة وهو أن بعض المؤلفين يبدو أنهم كانوا يتجهون نحـو المـستويات المتوسطة عن قصد كبير، وأن لغتهم كانت تتنوع بادئة بالعربية الوسيطة الأكثر قربًـا للفـصحى مـارة بمستويات متوسطة، ويضرب مثالاً باليهودي موسى بن ميمون (ت ١٢٠٤م) الـذي ألـف كتابـه. دليـل الحائرين بلغة عربية نموذجية مثل العربية التي يستخدمها المسلمون ومنهم ابن رشد (ت ١١٩٦م)، لكـن في المقابل بعض رسائله تجيب عن أسئلة قريبة من الواقع ولذلك كتبها ابن ميمون بلغة قريبة من العربيـة الوسيطة[١٥٤]، وكذلك الحال أسامة بن منقذ (ت ١٠٩٥م)، وهو مسلم من عائلة نبلاء تلقى تعليمًا مناسـبًا، وترك لنا مؤلفات مثل (البديع في نقد الشعر) وغيره، وكتبها بعربية فصحى بينما كتب مذكراته في (كتـاب الاعتبار) بنثر ينتمي إلى العربية الوسيطة تشعرنا على الدوام باللهجة السورية لهجته الأم[١٥٥].

وينتهي بقوله كم سيكون ساذجًا شرح انحرافات نصوص العربية الوسيطة عن القاعـدة/ المعيـار النحوي لمثل هؤلاء المؤلفين على كونها "نقص تعليم لنحو العربية الفصحى"، ولكم هو ملح عرض إشكالية المواد اللغوية للعربية الوسيطة على أسس جديدة [١٥٦].

ونستنتج من كل ذلك الآتي:-

- يرى كلوغلي أن هناك عبثًا علميًا باعتبار العربية الوسيطة سلة مهملات لكل شيء، باعتبارهـا لا تحتوى على مجموعة نصوص مترابطة.

- لكي نتكلم على مفهوم العربية الوسيطة فيجب أن نصفه حسب معايير/ مقاييس ثلاثة هي: المعيـــار التاريخي الذي ينتسب له النص، والمعيار الجغرافي، ومن أين جاء النص، ثم المعيار اللغـــوي – الاجتماعي، والذي يبحث في الانتماء الاجتماعي والديني لمؤلفي نصوص العربية الوسيطة.

وفي عرضه للمعيار التاريخي يرى تقسيم مراحل نصوص العربية الوسيطة إلى مرحلـــة قديمـــة ومرحلة وسيطة ومرحلة حديثة والتي تبدأ ببداية النهضة الحديثة في العالم العرب.

أما البعد الجغرافي فيذكر أن هذه النصوص تنتمي إلى مناطق عديدة منها ما ينتمـــي إلـــى شـــبه الجزيرة العربية ومنها ما ينتمي إلى ما بين النهرين، ومنها ما ينتمي إلى الـــشرق الأدنـــى، مـــصر ومـــا غربها.

والبعد الأخير وهو اللغوي الاجتماعي، فنصوص العربية الوسيطة تتوزع على ثلاث مجموعـــات كبيرة بحسب الانتماء الاجتماعي/ الطائفي، نصوص عربية وسيطة لمسيحيين ويهود ومسلمين.

ويرى كلوغلى أن بعض المؤلفين يبدو أنهم كانوا يتجهون نحو المستويات المتوسطة عـــن قـــصد كبير، وأن لغتهم كانت تتنوع بادئة بالعربية الوسيطة الأكثر قربًا للفصحى ثم تمر بمستويات متوسطة، ثـــم يذكر أنه من السذاجة شرح انحرافات نصوص العربية الوسيطة عـــن القاعـــدة النحويـــة (لمثـــل هـــؤلاء المؤلفين) على كونها نقص تعليم لنحو العربية الفصحى.

وأنتقل إلى مستشرق مهم له إسهامات عديدة في البحث في تاريخ اللغة العربية وكذلك في تحليـــل ودراسة النحو العربي، وهو كيس فرستيج.

<u>رؤية كيس فرستيج:-</u>

يرى أن علة ظهور النصوص المكتوبة بلغة عربية لا توافق قواعد العربية التي قعدها النحويـــون العـــــرب وكونها انعكاسًا لعامية الكاتـــب (Vernacular of The Writer) [١٥٧]. ويـــذكر فرســـتيج أن الاسم الجامع لكل النصوص التي تأتى بانحرافات عن النحو الكلاسيكي/ النحـــو العربـــي للفـــصحى هـــو العربية الوسيطة، ويذكر كذلك أنه سيكون خطأ أن نعطى أي معنى/ تضمين تـــاريخي (Chronological Connotation) لمصطلح العربية الوسيطة، وأننا سوف نرى عندما نحلل الأخطاء في نصوص حديثـــة، فهذه النصوص الحديثـــة تماثـــل تلـــك الموجـــودة فـــي نـــصوص العربيـــة الوســـيطة فـــي العـــصر الكلاسيكي/القديم[١٥٨].

ويذكر فرستيج أن بعض الباحثين يرون العربية الوســـيطة كتنـــوع لغـــوي مـــستقل (Discrete Variety) من اللغة، أي نوع خاص من العربية يقع بين العربية الفصحى واللغة العامية، ولكـــن هـــذا لا يتطابق مع الطبيعة الحقيقية لهذه النصوص، فأي فرد يريد أن يكتب بالعربية فإن المعيار الفـــصيح يكـــون في ذهنه. ومقدار الأخطاء أو البعد عن التنوعات العامية يكون بقدر درجة تعلم المؤلف للنص، ومـــن ثـــم

فإن بعض نصوص العربية الوسيطة تعكس خطأ عرضيًا Occasional Mistake، بينما في نصوص أخرى تأتى البنية الداخلية للغة في الغالب من العامية، لكن في معظم الحالات التي تأتي العامية متداخلة بقوة في النصوص؛ ذلك أنه لا يمكن أن تُرَى على أنها نص لهجي، باعتبار أن هذه النصوص تحتوى على ما يجعلها تقترب من العربية الفصحى حتى ولو وجدت سمات عامية في هذه النصوص [١٥٩].

ويرى فرستيج أن في كل جماعة لغوية يوجد فارق بين اللغة العامية ولغة الكتابة، في الهجاء والمعجم وحتى في البنية لكن في هذه المجتمعات التي يوجد فيها صلة مؤسسة بين المستوى العالي والمستوى الأدنى، وهذا ما يسمى بالازدواجية اللغوية، فإن الفارق بين اللغة المكتوبة النموذجية والكلام العادي المحكي كل يوم كبير جدًا.

ويذكر فرستيج أنه إذا كان مستوى التعليم في مجتمع ما منخفضًا فتظل لغة الكتابة محدودة في تمكنها، ويبقي استعمال الوسط الكتابي (Written Medium) في الوقت نفسه تلقائيًا متصلاً باكتساب المعيار الكتابي، فلو أن شخصًا أراد أن يكتب بالعربية فإنه ليس له خيار إلا الكتابة بالفصحى/ المعيار الكتابي، لكن المشكلة بطبيعة الحال أن مستوى اللغة النموذجية المكتوبة فوق قدرة معظم الناس، فحينما يبدأون الكتابة بالعربية يرتكبون أخطاء والتي في معظم الحالات متأصلة في كلامهم المحكي [١٦٠]. ويذكر فرستيج شيئًا مهما أن قيمة نصوص العربية الوسيطة محدودة بالنسبة للغوي التاريخي؛ ذلك أن اختلاط اللغة المحكية أو المكتوبة يعتمد على القدرة الشخصية للمؤلف ورغبته فوجود أو غياب ملمح معين لا يخبرنا بأي شيء عن السياق الحقيقي/ الواقعي في العامية إبّان كتابة النص[١٦١]، لكنه رغم ذلك يقول فيما بعد، وهذا لا يعني القول بأنه لا يمكن استعمال نصوص العربية الوسيطة كدليل ولكن يجب أن نستخدمها ولكن بحرص[١٦٢].

يقول فرستيج إنّ العربية الوسيطة ليست تنوعًا خاصًا من لغة ولكنها اسم لفئة من النصوص التي تحتوى على انحرافات عن العربية النموذجية الفصحى، أما عندما يكتب اليهود أو المسيحيون بالعربية فإنه من المشروع رؤية لغتهم على أنها تنوع خاص من اللغة العربية، ذلك أن سمتهم في العربية المكتوبة يبقى خاصًا لمجموعة معينة من اللغة ذات معيار/ قياس جديد [١٦٣].

ويذكر أن هناك عربية وسيطة حديثة اعتمادًا على تعريف العربية الوسيطة الذي يجعلنا نعتبر نصوصًا معاصرة بأسلوب مختلط ضمن ما يسمى بالعربية الوسيطة، وربما يرينا هذا الأسلوب من النصوص المعاصرة على أنه فئة خاصة (Special Category) [١٦٤].

ويرى أن أهم ملمح في كل من النصوص القديمة والحديثة هو اختلافها وتضاربها والذي يؤكد حقيقة أن هذه النصوص ليست مكتوبة بتنوع مستقل من اللغة، فقد تأتى صيغة غير صحيحة في جملة ربما تأتى هي نفسها صحيحة في جملة أخرى من النص، فترتيب الكلم ربما يختلف ما بين نظام العامية

ونظام الفصحى، فالقواعد المتفق عليها في الفصحى ربما تكون مطبقة في جملة ومهملة في جملة أخـــرى (١٦٥).

على أية حال تأتى رؤية فرستيج لتؤكد على أن مصطلح العربية الوسيطة يعنى تلـــك النـــصوص المختلطة من سمات لغوية فصيحة وأخرى عامية، وليست مقيدة هذه النصوص بزمن، فهنـــاك نـــصوص للعربية الوسيطة قديمة وأخرى حديثة، كما تؤكد رؤيته أن قيمة هذه النصوص بالنسبة لعلم اللغة التاريخي محدودة، ولكن يمكن استعمالها بحذر.

وهذه النصوص بعضها ينتمي إلى جماعات مسيحية ويهودية ومسلمة، ويرى أنه لا يمكن أن نرى العربية الوسيطة تنوعًا خاصًا إلا في حالة مثل حالة اليهود والمسيحيين فعربيتهم تعبر – حـــسبه – تنـــوع خاص؛ ذلك أن سمتهم في العربية المكتوبة يبقى خاصًا لمجموعة معينة من مستخدمي اللغـــة ذات معيـــار جديد.

وبعد أن عرضت لهذه الرؤى الخاصة بنصوص العربية الوسيطة فإنني سوف أعرض من خـــلال كل ذلك رؤيتي وأسجلها في الصفحات التالية.

خامسًا – تحليل رؤى المستشرقين:–

أرى أن الألماني فلايشر ومن بعده فوك وكذلك بلاو في المرحلة الأولى من كتاباته كانوا ينظرون إلى هذه النصوص على أنها تمثل بسماتها مرحلة وسيطة ما بين العربية القديمة واللهجات العربية الحديثة (١٦٦)، ويبدو المنظور التاريخي لدى هؤلاء كان هدفًا للتأريخ للعربية، ويتضح هذا عند يوشع بـــلاو الـــذي يذكر في أحد بحوثه أن هدفه من البحث هو التشديد على أهمية نصوص العربية الوسيطة لفهـــم تـــاريخي للهجات العربية المولدة، ذلك أنها تضيف جسرًا يسد فجوة ممثلة في مئات السنين التي تفصل بداية النـــوع اللغوي المولد عن اللهجات العربية الحديثة، فنصوص العربية الحديثة – عند بلاو – مهمة لإعـــادة بنـــاء بداية العربية المولدة وإعادة بناء تاريخي مميز ومفهوم للعربية المولدة (١٦٧).

بلاو نفسه يذكر أن على أي باحث أن يعي الصعوبة في الوصول إلى إعادة بنـــاء تلـــك العربيـــة المولدة لكي نصل إلى العربية المولدة الأم، ويطبق هذا على مجموعة من الصيغ التي يفترض أنها توصله لذلك للوصول إلى أصل (أيوه) في العامية، فهو يذكر أنها مرتبطة بالصيغة الأقدم (أي والله)، وأن تبـــادل الصيغ (أي والله) و (أيوا) يعد صحيحًا، والذي يثبت صحة هذا الافتراض أنّ بعض اللهجات تتطابق مـــع الصيغة القديمة (أي والله)، ومن هنا يمكن أن نستنتج أن (أي والله وإي والله) من اللغة العربيـــة المولـــدة المبكرة (١٦٨). كما ينتهي من هذا إلى أن العربية المولدة الأم كقاعدة متطابقة تقريبًا مع العربية الفـــصحى، ولكنها في عدد معتبر من الحالات مختلفتان، وأن العربية المولدة الأم أو العربية المولدة المبكـــرة أكـــدت الاختلاف عن الفصحى في عدد من الحالات (١٦٩).

واضح أن بلاو يحاول أن يرسم تاريخاً للغة العربية بمراحلها، لكن هيهات فالدرب صعب ويحتاج إلى كثير من الجهد والعمل الجماعي، إن بلاو وغيره من الباحثين أو كما يقول فرستيج إن معظم دراسات العربية الوسيطة التي تناولت نصوصًا من العصر الكلاسيكي/ القديم؛ ذلك لأن هذه النصوص غالبًا ما استعملت كمحاولات لإعادة بناء بداية للهجات العربية الحديثة، لكن فرستيج يرى أن قيمة هذه النصوص محدودة بالنسبة للمنهج اللغوي التاريخي بسبب طبيعتها المختلطة، ولكنه فيما بعد يرى أنه يجب أن نستخدمها بحذر [١٧٠].

وربما هذا ما جعل بلاو – كما عرضنا سابقًا – يتراجع ويقرر أن مصطلح/ مفهوم العربية الوسيطة ليس له مدلول تاريخي، وليشير به إلى العناصر العامية في نصوص عربية تنتمي إلى العصور الوسطى، ولتحديد لغة هذه النصوص التي تشتمل على العربية الفصحى والعامية [١٧١]، لكن يبقى التوجه التاريخي واضحًا أكثر في تناول بلاو للنصوص العربية لمحاولة الإفادة منها في رؤيته لتاريخ اللغة العربية [١٧٢].

ولعل من أهم الملاحظات التي لاحظناها في عرضنا لرؤى المستشرقين/ الباحثين لمفهوم/ محتوى العربية الوسيطة ونصوصها أن هناك تبايناً في الرؤى حول تاريخ اللغة العربية وتنوعاتها اللغوية فبينما يتضح من خلال لارشيه ولنتان أنهما يريان أن العربية عاشت ازدواجيات لغوية عبر تاريخها اللغوي من الجاهلية، وحتى الآن، فلارشيه يقول إن العربية الشعرية المشتركة (التي كتب بها الشعر القديم) لم تكن إلا أسطورة اتخذت من قبل العرب كمقدمة للعربية النموذجية[١٧٣]، وأن العربية الفصحى لم تكن لغة لأحد، والعامية لغة للجميع [١٧٤]، وتاريخ العربية – حسبه – تتابع من الازدواجيات اللغوية من أرض/ مكان إلى آخر [١٧٥]، أما لنتان فإنه يرى أنه من خلال تحليل معظم نصوص العربية الوسيطة القديمة وصلنا إلى تصور يقودنا إلى إعادة النظر في وجهة النظر في قضية هذه النصوص، ومن هنا فهو يفترض أن الازدواجية اللغوية كانت موجودة في الأزمنة القديمة بصورة لا تختلف حقيقية عن الطريقة التي تبدو في مراحل لاحقة [١٧٦]، ويرى أيضًا أنه ليس هناك سبب مقنع في إدعاء أن ما يسمى بالعربية الوسيطة لم يظهر مع المرحلة المبكرة الموثقة من تاريخ العربية [١٧٧].

إنّ هذه الرؤية تتعارض مع رؤية فلايشر وبلاو وفيشر وفرستيج لتاريخ العربية، وربما تكون رؤية لارشيه ولنتان قريبة من تصور شفتيل Shevtiel, A الذي كتب مقالة اعترض فيها على تقسيم بلاو لتاريخ العربية، وباختصار فإنّ بلاو وعددًا من المستشرقين مثل فلايشر وفك ونولدكه وفيشر وفرستيج يرون رؤية تكاد تكون واحدة متفقة إلى حد ما مع ما تصوره العرب لتاريخ لغتهم فيرون لغة عربية قديمة جاءت منها العربية الفصحى التي اكتسبت سمات كثيرة منها، وكانت لهجات العرب في الجاهلية وحتى الفتوحات الإسلامية من هذا النوع اللغوي العربي القديم فلما جاءت الفتوحات أحدثت تغيرًا اجتماعيًا، ومن

ثم حدث تغير لغوي للعربية جاءت من خلاله العربية الوسيطة والعربية المولدة [١٧٨]، هؤلاء يرون رؤيــة تكاد تكون واحدة، وهناك رؤية أخرى لتاريخ اللغة العربية يمثلها لارشيه ولنتان وأوينز وشفتيل الذي كتب بحثًا بعنوان: متاهة العربية[١٧٩]، يرى فيه أن تقسيم العربية إلى كلاسيكية/ فصحى وحديثة ولهجات تقسيم غير مرضى من قبل المستغربين؛ وذلك لأنه تقسيم سطحي لا يعكس الأطوار المختلفــة للعربيــة، ســواء أكانت متعاقبة أم متزامنة [١٨٠]، ويفترض شفتيل أن الحالة التي عليها اللغة العربية في العــصر الحــديث كانت موجودة في جميع مراحل العربية، فالعربية النموذجية الحديثة – حسب شفتيل– تحتوى علــى عــدد من الكلمات التي تنتمي إلى العربية الفصحى، وعدد صغير من العامية وعدد هائل من الكلمات الأجنبيــة، وهذا – حسبه – مثله مثل العربية الوسيطة عند اليهود، التركيب النحوي والكلمات والتعبيرات من العربية الفصحى واللهجات العربية، وكذلك الكلمات العربية والآرامية[١٨١].

ويخلص شفتيل إلى أنه يجب أن نفرق بين ثلاثة أنواع أو معايير من العربية التي وجدت في كــل جيل أو على الأقل منذ ظهرت العربية الفصحى الأدبية، ويرى هذه الأنواع هي: ١– الفــصحى العربيــة الراقية ٢– النموذجية Standard وهى العربية الوسيطة المكتوبة أو المنطوقة لــدى متحــدثي اللهجــات العربية. ٣– اللهجات المحكية (Colloquial) [١٨٢].

نلاحظ أن النوع الثاني وهو اللغة العربية النموذجية، وهــى تتكــون – حــسبه – مــن العربيــة الفصحى، ولكنها تبتعد قليلاً عن القواعد الصارمة، وتتسم بالاستخدامات المستحدثة الناتجة عــن تــأثيرات أجنبية، فهي في واقعنا اليوم عربية وسيطة؛ لأننا نجد بعــض التراكيــب فيهــا تتعــارض مــع قواعــد الفصحى[١٨٣]، وهذا النوع – كما يتضح من الجدول الذي وضع فيه مراحل العربية – موجــود فــي كــل مراحل العربية. ويذكر لارشيه (وهو مع شفتيل في تصوره تقريبًا) أن افتراض العربيــة الوســيطة هــي الحلقة/ الرباط التاريخي بين تنوعين للعربية هو في الحقيقة رؤية لنمطين مختلفين متناقــضين (بــالمعنى المنطقي للمصطلح) مع الوضع اللغوي المتسم بالازدواجية اللغوية كوجود واقعي [١٨٤].

يتضح من هذا كله أنّ هناك تباينًا واضحًا بين رؤيتين قائمتين على تاريخ اللغة العربية، ومن ثــم نجد الاختلاف في الوظائف التي يرونها تعود على البحث اللغوي من نصوص العربية الوســيطة، بــلاو يوظفها في أكثر من بحث – كما عرضنا – ليجد من خلالها أدلة تاريخية لغوية، ولعــل بحثــه: العربيــة المولدة المبكرة في نصوص العربية الوسيطة ليؤكد ما نقول، فهو يقول: "وتكمن الأهمية اللغوية لنصوص العربية الوسطى، أي النصوص التي كتبت من خلال نموذج العربية الوسطى أو النمــوذج الفرعــي لهــا وخليط يختلف من نص إلى نص من عناصر كلاسيكية وعناصر مولدة، في أنها تمكّن الباحث اللغوي من بحث العربية المولدة، وحين يجمع الباحث في ذلك ظواهر تنحرف في هــذه النــصوص عــن العربيــة الكلاسيكية، فإنه يكون قادرًا على دراسة الشواهد الأقدم للعربية المولدة[١٨٥]".

هذه الرؤية لا نجدها عند الآخرين، بل نجد تصورًا آخر مفاده أن العربية الوسيطة ورثت من خلال تقليد طويل ربما يرجع إلى أزمنة ما قبل الإسلام، واستمر حيًا حيث واكب حياة موازية للعربية الأدبية التي قُعّدت في القرنين الثاني والثالث للهجرة [١٨٦]، ومن ثم يزعم لنتان أنّ العربية الوسيطة ظلت قرونًا هي الأساس وإنْ لم تكن الوحيدة فقط، وبهذا المعنى يراها وسيطًا ثقافيًا (Cultural Mediate)[١٨٧] أما أهميتها فيرى لنتان أنها ذات أهمية نفيسة للغوي والمؤرخ للغة العربية؛ ذلك أنها تحتفظ بسمات قديمة جدًا، فهي تبرهن بالدليل على أنها تزامنت مع لهجات، وهى في الوقت نفسه بوتقة تبرز فيها ظواهر لغوية جديدة، كما يذكر أن لها أهمية أساسية للفهم الصحيح لطبيعة وتاريخ اللغة العربية[١٨٨].

كل من الاثنين يرى تاريخ العربية بشكل مختلف، وتصور من هذا العرض أن الأمر أصبح واضحًا في هذه النقطة المهمة للباحث في تاريخ اللغة العربية.

وأشير هنا إلى أمر مهم آخر ألاحظه في تناولهم لمادة نصوص العربية الوسيطة، فتراهم متباينين في تقييمهم لهذه النصوص، وأظن أن هذا أيضًا يرجع إلى حد كبير لتصور كل منهم لتاريخ اللغة العربية، فتجد فرستيج يرى أن الاسم الجامع لكل النصوص التي تأتى بانحرافات عن النحو الكلاسيكي/ النحو العربي للعربية الفصحى، هو العربية الوسيطة، كما يرى أن علة ظهور النصوص المكتوبة بلغة عربية لا توافق قواعد العربية التي قعدها النحويين العرب، وأنها انعكاس لعربية الكاتب[١٨٩].

هذا التصور الذي يذكره فرستيج يرفضه جمال الدين كلوغلي قائلاً: كم سيكون ساذجًا شرح انحرافات نصوص العربية الوسيطة عن القاعدة النحوية لمثل هؤلاء المؤلفين على كونها نقص في تعلم نحو الفصحى، ولكم هو ملح عرض إشكالية المواد اللغوية للعربية الوسيطة على أسس جديدة[١٩٠]، كما يرى أن هناك عبثًا علميًا باعتبار العربية الوسيطة سلة مهملات لكل شيء باعتبارها لا تحتوى على مجموعة نصوص مترابطة[١٩١]، بل إنّ الأمر يزيد عن ذلك عند لنتان الذي يذكر أن فحص هذه النصوص (نصوص العربية الوسيطة) يقودنا إلى إعادة النظر في الفكرة المكتسبة والتي تتصور أن العربية الوسيطة كانت لغة المؤلفين الذين لا يتقنون العربية الفصحى كفاية، ولذا فإن مستواهم اللغوي جاء بهذا الشكل؛ ذلك أن لنتان يرى أن كثيرًا من الكتاب ترك لنا أعمالاً مكتوبة بكل من العربية الفصحى النقية وأعمالاً أخرى مكتوبة بالعربية الوسيطة ومن ثم يخرج لنتان من هذا أن حال هؤلاء الكتاب يمكن أن يلغى فكرة كون هؤلاء الكتاب غير قادرين على الكتابة بالعربية الفصحى[١٩٢]، بل يذكر أبعد من ذلك أن يقول إن بعض الكتاب كانوا يتوجهون نحو العربية الوسيطة أكثر من العربية الفصحى الأدبية، تلك اللغة التي لا يشعرون براحة في استعمالها، ويعطون أفضلية للعربية الوسيطة [١٩٣].

فالمادة ترى برؤيتين متناقضتين، فرستيج يراها انحرافات عن الفصحى، ولنتان يراها لغة يرتاح لها بعض الكتاب، وكان لارشيه – كما عرضنا – أن العربية الفصحى ليست لغة لأحد؛ وإنما هو مستوى له مكانة اجتماعية، أما اللهجات/ العاميات فهي لغة الجميع.

وأتصور أن ما قاله لنتان يمكن أن يكون صحيحًا في حالة ما إذا أراد الكاتب أنْ يؤلف لجمهـور أميّ، عندئذٍ تكون الأفضلية لكتابة السير الشعبية والأدب الشعبي عمومًا بهذا الشكل اللغوي الوسيط الـذي يكون قريبًا من الأميين وأنصاف الأميين، لكن لا أظن هذا الكلام يكون صحيحًا في حالة المؤلفين الـذين يريدون أن يكتبوا بالفصحى ولكن قدراتهم لا تؤهلهم لذلك، وسوف ندلل على ذلك بنـصوص بعـد قليـل لنؤكد ما نقول.

تأتى رؤية بنجامين هاري لترى رؤية جديدة في هذا المضمار، فهي قائمة على مفاهيم علم اللغـة الاجتماعي، ويزعم فيها أن العربية مرت بتعدد الأشكال اللغوية لفترة زمنية كبيرة، وطبق فكرة سائدة فـي مجال علم اللغة الاجتماعي وهي السلسلة المتصلة لغويًا المسماة بالكنيتوم (Continuum)، ويـرى مـن خلاله أن الواقع العربي يتشكل بتنوعين لغويين يقفان على طرفي هذا المتصل، وتـأتى بينهمـا تنوعـات متوسطة، وهو في الحقيقة يعالج نصوص العربية الوسيطة بشكل مختلف؛ ذلك أنه طبق فكـرة السلـسلة المتصلة التي يقف على طرفيها الفصحى من ناحية والعامية من ناحية أخرى، وتأتي التنوعات المتوسـطة بين الطرفين، ومن هنا فهو يرى أن العربية الوسيطة لم تكن معروفة بمرحلة تاريخيـة، لكنهـا مـستوى لغوى[١٩٤].

ومن وجهة نظري كان هاري دقيقًا في هذا، فأنا أتصور أن الواقع اللغوي العربي منذ الفتوحـات الإسلامية الكبرى حتى الآن وهو يعيش بالشكل الذي وصفه هاري، والتنوعات اللغوية من الفـصيح إلـى العامي والوسيط بينهما توجد داخل أي مجتمع عربي مدني/ مثقف، وفي تصورنا أن المجتمع العربي فـي الجاهلية مختلف عن هذا.

وكان دقيقًا أيضًا وأقف معه حينما يقول إنه ينبغي أن يستخدم مصطلح (العربية الوسيطة) بمعنـى مفاده الإشارة إلى المستوى المختلط ومستوى اللهجات التي سادت مرحلة العربيـة الوسـيطة/ العـصور الوسطى[١٩٥]، وأظن وقتها سيكون المصطلح واضحًا وتكون تلك النصوص المختلطة من فصحى وعامية مسماة بالنصوص المختلطة ترجمةً لمصطلح (Mixed) كما صنعت الأستاذة جونفر ميجدل التي أرتـضي تحليلها اللغوي الاجتماعي لهذه النصوص المختلطة، فهي إلى حد كبير تتفق مع رؤية هاري، وإن كانـت هي تطبق على مادة من العصر الحديث. كما أنها تتجه لوضع منهج قائم على علم اللغة الاجتمـاعي فـي دراسة الموقف اللغوي واحتكاك المتكلمين في السياق اللغوي المعاصر، ومن ثم ترى أن اللغـة الوسـيطة متوسطة أو عربية مختلطة، وهذا كله مفاهيم تغطى مجالاً واسعًا لإنتاج لغة من سلسلة متـصلة/ كنتينـوم من مستويات عربية (diglossic continuum)، والمتكلمين يضعون أنفسهم في مدى كبير داخل سلـسلة متصلة لغويًا مفادها أن اختياراتهم اللغوية الموجودة في ذخيرتهم اللغوية تأتى وفقًا للموضـوعات المـتكلم بشأنها، ومن هنا فاختياراتهم اللغوية منظمة وفقًا لأعراف وتقاليد مجتمعهم [١٩٦].

وكنا قد حللنا تصور هاري للواقع اللغوي المعاصر ورأينا أنّ كثيرًا من الباحثين يؤيدون اســتخدام فكرة السلسلة المتصلة في وصف الواقع اللغوي العربي، فقد أثبتت هذه الفكرة فعاليــة كمحاولــة لإعــادة تحديد معنى الازدواجية اللغوية، وذكرت أن هذه الفكرة ربما تكون صالحة في مجتمع عربي مثقف، وغير صالحة في مجتمع عربي أميّ، وهنا أذكر ما قاله البروفيسور جوزيف ديشي إن: المتكلم العربي "المثقف" يستطيع استخدام مجموعات من القواعد اللغوية المتقاربة – على اختلاف بعض عناصرها – وفقًا لحاجتــه إلى الكلام بلهجته المحلية أو الإقليمية أو باللغة الفصحى الحديثة، وليس ذلك التعدد بالنسبة للنــاطق بلغــة الضاد إلا عملية يومية يراعى بها الظروف والأحوال على نمط المثل القائل إن لكل مقام مقال. كما أنه لا يزال يشعر وهو ينتقل من مستوى لغوى إلى آخر بوحدة اللغة العربية(١٩٧).

أما بنية نصوص اللغة العربية الوسيطة فيشير البروفيسور بنجامين هاري إلى أنها مختلطــة مــن صيغ فصيحة وأخرى عامية، فهو يرى من خلال السلسلة المتصلة لغويًا/ الكنتينوم أنّ المستوى (أ) على الطرف الذي يمثل المستوى الفصيح مازال يتسم بسمات الفصحى التأليفية وفيه إعراب، بينمــا المــستوى (ب) أقل تشبعًا بالسمات التحليلية العامية، بينما المستوى (ج) الذي يمثل بونًا/ فرقًا شاسعًا بــين العربيــة القديمة/ الفصحى واللهجات المنطوقة التي عرفها المجتمع العربي في العصور الوسطى(١٩٨).

هذا الكلام الدقيق من قبل بنجامين هاري لوعيه بطبيعة العربية الفــصحى والوســيطة والعاميــة يأخذنا لتحليل كلام لنتان في هذا المضمار، يذكر لنتان كلامًا نفهم من خلاله أن العربيــة الوســيطة لغــة موحدة، يقول متسائلاً. لماذا استطاعت العربية الوسيطة أن تبقى موحدة (unified) عمرًا طويلاً؟ فيجيــب قائلاً: يمكن أن نذكر سببين رئيسين، الأول منهما أنها تتشابه مع العربية الفصحى الأدبية، فالوسيطة كانت وسيلة لتواصل مكتوب في مجالات عديدة للحياة الاجتماعية والثقافية بين مجتمعات مختلفة معنية بها، ولذا قعدت لمدى كبير. الثاني: يعتقد لنتان أن العربية الوسيطة ورثت من خلال تقليد طويل ربما يرجــع إلــى أزمنة ما قبل الإسلام كتنوع من العربية عابر للهجات والمجتمعات، وقد وجد هذا التنوع في الواقع الفعلي الذي استمر حيًا حيث واكب حياة موازية للعربية الأدبية(١٩٩). ولي أنْ أتساءل ماذا يقصد لنتــان بالعربيــة الوسيطة التي ورثت من خلال تقليد طويل؟ هل يقصد العربية المولدة (كما كــان العــرب يــسمونها) أو العربية التي تمثلها اللهجات الحديثة، فحديث لنتان يتكلم عنها باعتبارها وريثة لتنوع من العربيــة قــديم، ربما يرجع إلى ما قبل الإسلام، وأن نتساءل إذا ما كان لنتان قد قصد بالعربيــة الوســيطة التــي ورثــت العربية المولدة/ التحليلية غير المعربة فهل نصوص العربية الوسيطة مكونة مــن العربيــة المولــدة (أو الجديدة حسب مصطلحهم (Neo-Arabic) فقط أم أنها مكونة من خليط من الفصحى والعربيــة المولــدة/ العامية؟ ومن هنا فإن هذا الشكل اللغوي لا يمكن أن نتصور أنه موحد – كما ذكر لنتان – فهذه النصوص تختلف في بنيتها وقربها وبعدها عن الفصحى من نص إلى آخر وبنيتها متنوعة.

الشيء الذي أريد أن أذكره هنا أننا لا بد أن نحدد المصطلحات فما يسمى بالعربية الوسيطة أرى أن نتابع ما ذكره هاري ونجعله للمرحلة اللغوية في العصر الوسيط، أما هذه النصوص فلا تمثل تنوعًا لغويًا محددًا، فهي مكونة من عناصر من الفصحى وأخرى من العامية، وتوجد في نصوص فيها تصحيحات زائفة بنوعيها الزائد والناقص، ومن ثم فهي ليست تنوعًا لغويًا محددًا، وإنما هي نصوص مكتوبة بتنوعات مختلطة، منها الفصيح ومنها العامي، وأستغرب تلك المزاعم التي ترى هذه النصوص المختلطة لغة موحدة، فهل هي بهذا الفعل لغة موحدة، أعتقد أننا عرفنا هذه النصوص مختلطة ومكونة من تنوعات عربية فصيحة وعامية، وليس لدينا دليل يؤكد أنها محكية في تلك الأزمنة، لكن إذا ما قسنا الواقع الذي كتبت فيه بواقعنا اللغوي الحالي فإننا سوف نرى لها شبها مع نصوص عربية حديثة محكية (خاصة في المستوى اللغوي المستعمل من قبل المثقفين)، وأيضًا مكتوبة، وبهذا يمكن فهم أمر لغة هذه النصوص بالرؤية نفسها التي رآها هاري وميجدل – كما عرضنا سابقًا – وهى نفسها رؤية د. السعيد بدوى.

هذه النصوص التي تنتمي إلى يسميه الباحثون بالعربية الوسيطة يقترب إلى ما وصفه د. بدوى بعامية المثقفين/ مستوى المثقفين بالآتي: "هذا هو المستوى الذي يصل فيه تدهور صفات الفصحى التقليدية إلى حد يصبح معه من غير الممكن أن يبقى داخل حدود – أو من بين درجات – العربية الفصحى. وفي الواقع أننا لو قارنا بين نماذج من أدنى مستوى من "فصحى العصر" ونماذج مشابهة من أعلى مستوى من "عامية المثقفين" أي في النقطة التي يلقى فيها المستويان لو أجرينا مثل هذه المقارنة لوجدنا أن الفرق بينهما في تلك النقطة لا يتعدى وجود صفات محدودة ترجع إما إلى مستوى الفصحى وإما إلى مستوى العامية. وعلى أساس استخدام الواحدة دون الأخرى تتحدد تبعية النموذج نفسه إما للفصحى أو للعامية"[٢٠٠].

هذه الظاهرة يسميها د. بدوى – رحمه الله– بظاهرة التدرج في الصفات، –كما يقول د.بدوى– التي اتخذها الأستاذ الحكيم أساسًا فيما أسماه "إيجاد لغة ثالثة"[٢٠١].

يتضح من هذا التشابه الكبير بين اللغة العربية الوسيطة وعامية المثقفين، وهذا ما جعل المستشرقة جونفر ميجدل Mejdell, G. في بحثها:

Aspects of Formal Spoken Arabic in Egypt-Lugha Wusta or Lughat Al-Muthaqqafin. A View from the North

= مظاهر تكوين العربية المحكية في مصر – اللغة الوسطى أو لغة المثقفين، رؤية من الشمال، تقول فيه إن هذا "المستوى اللغوي الذي يلقبه البحث بالخطاب الممزوج، يعرض البحث الأنواع المختلفة من المزج اللغوي الذي ينتج عن الجمع ما بين الفصحى والعامية في العبارة نفسها أو في الحوار نفسه" [٢٠٢]، وباعتبارها لغوية، ومن ثم جاء بحثها ليؤكد على جانبين مهمين لنا هنا الأول أن من نتائج بحثها أن المتحدثين يختلفون فيما بينهم في استخدامهم اللغوي، فهناك من يلجأ إلى نسبة أعلى من التعبيرات

الفصحى، بينما يلجأ الآخرون إلى مخزون العامية من مفرداتها وتراكيبها الـصرفية والنحويـة، الثـاني: تأكيدها على أن اللغة الوسيطة هي لغة المثقفين[٢٠٣]، كما أنها تذكر أنه "إن كانت لغة المثقفـين أو اللغـة الوسطى تفتقد إلى وحدة الكيان اللازمة لاعتبارها نمطًا لغويًا موحدًا إلا أن التبادل المستمر الـذي يجـرى على ألسنة المتحدثين في الحياة اليومية وكذلك من خلال وسائل الإعلام بإمكانه أن يخلق كياناً لغويًا موحدًا يعتمد على أسس ومعايير تزداد ثبوتًا مع مرور الزمن [٢٠٤]. هنا نؤكد أن هذا الشكل اللغوي لـيس نمطًـا موحدًا، وأتصور لن يحدث ما تدعيه ميجدل هنا؛ وذلك للتباين ما بين الفصحى والعامية وهمـا الأسـاس للمادة اللغوية التي تشكل هذا الشكل، كما أن صوره لدى المتحدثين مختلفة كما لاحظت ميجدل بالفعـل أنّ المتحدثين يختلفون فيما بينهم في استخدامهم اللغوي.

ونأتي إلى نقطة مهمة في تحليل هذا الشكل، وهى مادته التي تتكلم عنها ميجدل فتقول إنها خطاب ممزوج، ثم تقول: "فمن المتوقع أن تنتمي المفردات إلى الفـصحى، بينمـا تنتمـي التركيبـات النحويـة والصرفية إلى العامية مثل هو متبع في معظم الحالات في لغة المثقفين". [٢٠٥]

وهذا نفسه ما تتشكل منه تقريبًا نصوص العربية الوسيطة، ولكن الاثنين ليس نمطًا لغويًا له كيـان محدد، وهذا ما نجده واضحًا لدى د.السعيد بدوى حينما تكلم عن الفروق التركيبية بين فـصحى العـصر وعامية المثقفين، حينما يقرر: "على أننا عندما نقول بوجود التوازي بين جملة فـصحى العـصر وجملـة عامية المثقفين من الناحية التركيبة ....لا ينبغي أن نغفل وجود فارق بين الاثنين – وإن يكن فارقًا شـكلاً إلا أنه يعطي مظهرًا مختلفًا للصورة الخارجية لكل منهما. هذا الفارق هو الخلاف الشكلي في النقاط التـي تجرى عليها الإعراب بالحروف." [٢٠٦]، ثم يذكر أنّ هناك فروقًا بينهما في نظام النفي "فبينما يتم النفي في الفصحى بالطرق التي جاءت كتب النحو على ذكرها نرى النفي في العامية يتبع طرقًا مختلفة عن طريـق الفصحى اختلافًا واضحًا"[٢٠٧]، كما يشير إلى قلة ظهور الجملة الفعلية في عامية المثقفين بالمقارنـة مـع فصحى العصر [٢٠٨]. إذن هناك فروق بين عامية المثقفين وفصحى العصر، وأنّ عامية المثقفين تركيبًا لا يمكن أنْ نصفها بالوحدة؛ ذلك لأنها خليط لغوى من سمات فصيحة وأخرى عامية، ولعل هذا يذكرنا بمـا ذكره د.محمد العبد معلقًا عما اقترحه الأديب توفيق الحكيم تحت مسمى "اللغة الثالثـة"، فينتهـي إلـى أن "العربية لم تعرف ولن تعرف شيئًا وسطًا أو لغة ثالثة كما يسميها الحكيم، فهي إما فصحى أو عاميـة ولا شيء غير ذلك. وما يظنه الحكيم هنا لغة ثالثة – وسوف نرى ذلك بالتفصيل في تطبيـق نظريتـه علـى أعماله المسرحية – لا تجافى قواعد الفصحى، ليس صحيحًا من ناحية، وليس له من الواقع اللغوي الفعلي مكان من ناحية أخرى"[٢٠٩]. ثم يقرر د. العبد أن "اللغة الثالثة التي يراها الحكيم ليست – في حقيقتها – إلا مستوى لغويًا من مستويات العامية، يمكن لنا – بعامة – أن نجعلـه مـستوى عاميـة المتعلمـين ومـن دونهم".[٢١٠]

وأظن أنّ ما ذكره د. العبد في هذا الأمر لجد صحيح، خاصة فيما يتعلق ببنية ما يُسمى بالعربيـــة الوسيطة قديمًا وحديثًا، وأستغرب ما يتصوره جيروم لنتان حينما يقول: لماذا استطاعت العربية الوســيطة أن تبقى موحدة عمرًا طويلاً؟ ليجيب قائلاً يمكن أن نذكر سببين رئيسين، الأول هــو أنهــا تتــشابه مــع الفصحى الأدبية، فالعربية الوسيطة كانت وسيلة لتواصل مكتوب في مجالات عديــدة للحيــاة الاجتماعيــة والثقافية بين مجتمعات مختلفة معنية بها، ولذا قيست/ قعدت لمدى كبير، الثاني يمكن أن نعتقد أن العربيــة الوسيطة ورثت من خلال تقليد طويل ربما يرجع إلى أزمنة ما قبل الإسلام، كتنوع مــن العربيــة عــابر للهجات والمجتمعات، وقد وجد هذا التنوع – حسب لنتان – في الواقع الفعلي الذي استمر حيًا حيث واكب حياة موازية للعربية الأدبية التي قعدت في القرنين الثاني والثالث للهجرة [٢١١].

وهنا أقفُ عند نقطتين مهمتين، الأولى: ألاحظ أن جيروم لنتان يــرى لغــة نــصوص العربيــة الوسيطة تنوعًا في الواقع الفعلي، كما أنه يراها بقيت موحدة عمرًا طويلاً، وهنا أقول هــل هــذا الخلــيط الممزوج من سمات متفرقة فصيحة وعامية وغيرهما يسمى نمطًا، ولعل ما ذكرته ميجدل يكفينــي للــرد، فهي تقول إنّ هذا الشكل يفتقد إلى وحدة الكيان اللازمة لاعتباره نمطًا لغويًا موحدًا [٢١٢]، ومن ثم نعترض على تصور لنتان. الثاني اعتقاده بأن العربية الوسيطة ورثت من خلال تقليد طويل ربما يرجع إلى أزمنــة ما قبل الإسلام، كتنوع من العربية عابر للهجات والمجتمعات، وهنا أتساءل هل يريد أن يقول إن العربيــة الوسيطة هي عامية الجاهلية وما تلاها من عصور؟ وهنا أتساءل أيضًا هل هذا الشكل أو الأشــكال التــي جاءت عليه هذه النصوص عامية فقط أم أنها خليط من العامية والفصحى وغيرهما من سمات؟

إن الأمور تختلط في ذهن الأستاذ لنتان فلابد أن يفرق بين اللهجات العاميــة واللغــة الفــصحى، والعربية الوسيطة المبنية منهما مع سمات أخرى، ويمكن لكلامه أن يكون صحيحًا إذا كان يقصد اللهجات العامية، فهي موجودة منذ زمن بعيد ككيان لغوى اختلف عن الفصحى في سمات عديــدة، أمــا العربيــة الوسيطة فليست نمطًا لغويًا موحدًا، وسنرى في السطور التالية بعضًا من النــصوص التــي تنتمــي إلــى العربية الوسيطة حسب مزاعم دارسيها. سوف نتحقق من كل مزاعم الباحثين الــذين تنــاولوا نــصوص العربية الوسيطة قديمًا وحديثًا، وهل هي بالفعل كانت موحدة، وأن الناس يفضلونها عن الفصحى، ســوف نرى من خلال نصوص مكتوبة قديمًا ونصوص حديثة أيضًا.

اخترت نصًا قديمًا من ترجمة كتاب الشعر لأرسطو بقلم أبى بــشر متّــى بــن يــونس القنــائي (ت٣٢٨هـــ وينتمي إلى بيئة مسيحية) وبإقرار لنتان أن نصوص العربية الوسيطة كبيرة جدًا، وتمثلت فــي كتابات على ورق البردي، وأيضًا في كتابات علمية وفلسفية وآداب جميلة أيضًا [٢١٣]، ومــن هنــا فإننــا سوف نفحص/ نحلل بعضًا من الفقرات التي وردت في ترجمة متّى بن يونس لنــرى إلــى أي الأشــكال اللغوية العربية تنتمي هذه النصوص.

نجد في ترجمة متّى لكتاب الشعر لأرسطو طاليس ركاكة في التعبير، ولننظر إلى قولــه: "وهــذه التي هي هكذا التي أتى بها الوزن كما أتى بيامبو [٢١٤]"، وقوله: "وذلك أنه هو وحده فقط ليس إنما عمــل أشياء أحسن فيها لكن قد عمل التشبيهات والحكايات المعروفة بــدراما طيقياتــا [٢١٥]". أي مــستوى مــن العربية هذا، هل هو عامي أظنه أنه ليس كذلك. ولننظر إلى تركيب الجملة واســتخدام الــروابط، يقــول: "ولذلك صار أهل أدرياس هم متمسكون بالمديح والهجاء [٢١٦]" انظر أيضًا: "والرابعة هي أن الكــلام هــو مقول [٢١٧]"، إنّ العربية الفصحى يستخدم فيها ضمير الشأن رابطًا للجملة على نطاق ضيق، لكــن متّــى يبدو أنه توسع في هذه الظاهرة، ونجدها أيضًا عند غيره أيضًا [٢١٨].

ونجده يطرح الإعراب وقواعد الصرف، وقد شاعت هذه الظاهرة في الترجمة[٢١٩]، ومــن ذلــك قوله: "من حيث كان لهم من جهة شكل ما أن يُعَدُّون ممن كانوا من شــعرائها، وكــانوا يُــذكرون [٢٢٠]"، وأيضًا "هو أول من أظهر من التشابه الصغار [٢٢١]"، وهذه أمثلة فقط تؤكد كما يذكر د. شكري عباد تأثره بالعامية في ترك الإعراب. "حتى ليمكن القول بأن هذه الترجمة كتبت بلغة غير معربة وفــي خــصائص نحوية أخرى هامة[٢٢٢]"، ويذكر د. عياد كذلك تشيع لديه ظاهرة استعمال جمع المذكر السالم لغير العاقــل واستعمال المضارع بمعنى المصدر، وموافقة اسم الموصول للاسم الذي يليه والخلط في وضع الــضمائر [٢٢٣]، ومفردات اللغة لديه تشتمل على كلمات عامية أو عربية محرفة وأخرى يونانية وسريانية وفارســية حديثة [٢٢٤]. ولعل كل ذلك ما جعل د. عبد الفتاح سليم يسمى عمل متّى هذا "جناية متّــى علــى العربيــة المسماة بالترجمة [٢٢٥]"، وأنها "تعد من أكبر الكبائر في هدم صرح العربية" [٢٢٦].

هل أراد متّى أن يكتب بالعامية أو بالعربية الوسيطة؟ أم أنه أراد الكتابة بالفصحى ولــم يــتمكن، أظن أنه أراد أن يكتب بالفصحى ولم تكن قدرته اللغوية وتمكنه بالعربية يقوى على الكتابة الصحيحة بهــا، ومن ثم أقول: هل يصدق كلام البروفيسور لنتان – من خلال نصوص متّى – "إنه من المستحيل وصــف العربية الوسيطة كونها الاستعمالات الشاذة للغة، بل على النقيض من ذلــك نجــد اســتعمالات راســخة كسلاسل أسلوبية بين التنوعات اللغوية [٢٢٧]".

هل ينتمي إذن نص متّى إلى العربية الوسيطة؟ أظن نعم، ولكن لا تصدق عليه مزاعم لنتان وربما تصدق مزاعمه على نصوص أخرى سنوضحها بعد قليل، لكن ترجمة متّى بهذه الطريقة يصدق عليها مــا ذكره البروفسيور فرستيج: "إن بعض الباحثين يرون اللغة العربيــة كتنــوع لغــوى مــستقل (discrete variety) من اللغة، أي نوع خالص من العربية يقع بين العربية الفصحى واللغة العامية، ولكــن هــذا لا يتطابق مع الطبيعة الحقيقية لهذه النصوص، فأي فرد يريد أن يكتب بالعربية فإن المعيار الفــصيح يكــون في ذهنه، ومقدار الأخطاء أو البعد عن التنوعات العامية يكون بقدر درجة تعلــم المؤلــف للــنص[٢٢٨]"، ويقول أيضًا إن الاسم الجامع لكل النصوص التي تأتى بانحرافات عن النحو العربي للفصحى هو العربيــة الوسيطة [٢٢٩].

فهذه بالفعل انحرافات عن قواعد الفصحى، وعدم تمكن "متّى" من القدرة على الكتابة السليمة، جعل لغته تأتي بهذا الشكل الذي عليه.

أما نصوص أخرى تنتمي إلى هذا الشكل المسمى بالعربية الوسيطة/ المختلطة يصدق عليه قول لنتان وليس قول فرستيج، فما هي هذه النصوص؟ وهى نصوص كثيرة رغب أصحابها الكتابة بشكل يتأرجح بين العامية والفصحى، وهم لديهم القدرة على الكتابة الفصحى، لكنهم رغبوا في هذا الشكل ربما لتوظيف أسلوبي أو أغراض أخرى، من هذا ما كتب قديمًا وحديثًا، لكن يشيع هذا الشكل في الصحافة الحديثة، ومنها نصوص سوف نستخدمها هنا تنتمي إلى العقد الأول من القرن الحادي والعشرين الميلادي، ومن ذلك ما كتبه خالد كساب تحت عنوان بالإنجليزية The Secret بالرغم من أنه يكتب المقال بالعربية وفي صحيفة تكتب بالعربية وهى "الدستور" يقول: "إذا كنت لا ترى غير ما يكشف عنه الضوء .. ولا تسمع غير ما يعلنه الصوت .. وأنت في حقيقة الأمر لا تبصر .. ولا تسمع شيئًا" .. بقين عنب لعم "جبران خليل جبران" يلخصان الهدف الحقيقي من وجودنا على ظهر هذا الكوكب .. الذي لم نجئ إليه سوى لنرى ما لا يشف الضوء عن وجوده ... ونسمع أصداء الكلمات التي قيلت ... مش الكلمات نفسها ... جئنا إلى تلك الحياة .. لنرى .. ونتأمل ونتعجب ونفكر .. قبل أنت نتساءل بدهشة .. "ليه"؟ "[٢٣٠].

يتضح من هذا النص استخدام لغة مختلطة بعضها ينتمي إلى الفصحى والآخر إلى العامية، ولكن لا يمكن أن نقول إن الكاتب ليس لديه القدرة على الكتابة بالفصحى، وإنما أراد شيئًا آخر، وهو توظيف هذه الأساليب دلاليًا، وهذا يشيع عند كتاب شباب آخرين مثل نوارة نجم وغيرها التي تقول في إحدى مقالاتها: "لقد فكرت مرارًا وتكرارًا قبل أن أشرع في كتابة هذا المقال: هل أكتب باللغة العربية الفصحى، أم أكتب بالكلام الشعبي السيلس بتاعنا ده؟ ثم استقر خاطري على أن أتبع نصيحة زينات صدقي وأكتب بالعقل الباطن وبعد ذلك، وكما قال محمد هنيدي، تطلب زى ما تطلب. [٢٣١]" هذه كتابات لها وظائف دلالية مختلفة، ذلك أنه عندما يتغير المستوى اللغوي تتغير معه الوظيفة، وقد حللت د. ريم بسيوني في بحث لها العربية بين دور المتكلم والمستوى/ الكود الذي يختاره، وطبقت هذه المفاهيم على خطبة للرئيس الأسبق محمد حسنى مبارك، ورأت أن المزج والتغير الذي يطرأ على الدور الذي يقوم به المتحدث ويتفاعل معه يكون وفقًا لعلاقته بالمستمع والموضوع [٢٣٢]، ورأت أنه عندما تكلم العامية المصرية كان قد أراد في خطبته التقرب إلى المصريين وجعلهم كالصديق المخلص القديم [٢٣٣]، وأن العلاقة بين تغير الدور والتحول بين المستوى الفصيح المعاصر/ العربية النموذجية المعاصرة وعامية المثقفين محددة في الخطب السياسة، كما أن هذه الطريقة كانت مسلوكة من قبل الرئيس عبد الناصر التي تؤكد لنا على العلاقة بين المتحدث والمستوى الذي يختاره وفقًا للموضوع والجمهور الذي يسمعه، ذلك أن مصر مجتمع لديه ظاهرة الازدواجية اللغوية [٢٣٤].

وهذا الخليط الذي ينتج نصوصًا تتسم بلغة وسيطة قديمًا وحديثًا في الحقيقة مرتبط بوظائف أكدتها الظروف الاجتماعية في العالم العربي، ويصدق ما ذكره لنتان حينما يقول: "إن هذه الأداة اللغوية صـــيغت وأتقنت من خلال قرون من التعامل مع الازدواجية اللغوية التي أسهمت في خلود التقاليد القديمـــة (التـــي تشتمل على الأمور الكتابية) التي رفضت من خلال المعيار الفصيح، واقترح تغييرها بأخرى حديثة، ومن ثم فإن العربية الوسيطة بقيت وسيلة حية للتواصل تزداد غنى بملامح جديدة[٢٣٥]".

ومن هذين النوعين من النصوص (نص متّى والنصوص التي تنتمي إلى الصحافة الحديثة) نتأكـــد أن هناك تباينًا بين المؤلفين، متّى يترجم بلغة غير فصيحة، لكنه يحاول أن يكتب الفصحى، وتـــأتي لغتـــه بهذا الشكل لعدم قدرته اللغوية، بينما نصوص الصحافة الحديثة قد اختار مؤلفوها هـــذا الـــشكل اللغـــوي لوظائف أخرى، ربما للشعور بالراحة في استعمالها، ولسهولة الوصول إلى القراء الذين تمثل لهم بعـــض التعبيرات حميمية وقربًا، في مجتمع لديه توظيف للمستويات اللغوية الفصيحة والعامية.

وفي ختام بحثي هذا الذي حاولت أن أقدم فيه رؤى الباحثين الغربيين/ المستشرقين لمفهوم العربية الوسيطة، وقد رأينا لديهم تباينًا في المفاهيم، وفي مناهجهم التي حللوا بها نصوص العربية الوسيطة، أناشد اللغويين والباحثين العرب الالتفات إلى البحوث التي يكتبها المخلصون مـــن المستـــشرقين للإفـــادة بهـــا وترجمتها للقارئ العربي، كما ألفت نظرهم إلى المادة اللغوية المسماة بنصوص العربية الوسيطة لبحثهـــا بمنهج لغوى حديث في إطار توضيح تاريخ اللغة العربية عبر عصورها المختلفة. على أنه يجب التأكيـــد على الأخذ بما وضحه بنجامين هاري الذي أكد على أنه يجب التفريق بين العربية الوسيطة باعتبارها دالة على هذه النصوص التي تنتمي إلى شكل لغوى استخدم قديمًا وحديثًا، وبين اللغة العربية المـــستخدمة فـــي العصر الوسيط، وهذا تفريق علمي مهم حتى لا يضطرب الباحثون في استخدام المصطلحات.

سادسًا: المصادر والمراجع:-

(أ) العربية:

- أرسطو طاليس (٢٠١٢م) في الشعر، ترجمة أبى بشر متى بن يونس القنائي، تحقيق د. شـــكري عيـــاد، طبعة المركز القومي للترجمة بالقاهرة.
- د. أمين، منتصر: مصطلحات التصحيح الزائف في نصوص العربية الوسيطة، تحت الطبع.
- د. بدوى، السعيد محمد ١٩٧٣م: مستويات العربية المعاصرة في مصر، طبعة دار المعارف بمصر.
- د. بعلبكي، رمزي: ١٩٩٠ك: معجم المصطلحات اللغوية، الطبعة الأولى، طبعة دار العلم للملايين بلبنان.
- بلاو، يوشع: ٢٠٠٥م: العربية المولدة المبكرة في نصوص العربية الوسطى، ترجمة د. ســـعيد بحيـــرى ضمن كتاب: "دراسات في العربية"، طبعة مكتبة الآداب بالقاهرة.
- التوحيدي، أبو حيان: الإمتاع والمؤانسة، صححه وضبطه وشرح غريبه أ. أحمد أمين وأ. أحمـــد الـــزين، طبعة مكتبة الحياة ببيروت– لبنان.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: البيان والتبيين، تحقيق أ.عبد السلام هارون، دار الجيل–لبنان. د ت.
- د. جدامي، عبد المنعم السيد أحمد (٢٠٠٧م): تصور المستشرقين يوشع بلاو وكـــيس فرســـتيج للعربيـــة الفصحى على ضوء تحليلات اللغويين العرب القدماء، منشور كملحق في المجلد العـــشرين مـــن رســـالة المشرق التابعة لمركز الدراسات الشرقية بجامعة القاهرة.

  _____ (٢٠١٣م): الازدواجية اللغوية في العربية ومقارباتها العربية والاستشراقية، مـــن إصـــدارات كرسي د. عبد العزيز المانع، جامعة الملك سعود – المملكة العربية السعودية.

  _____ (٢٠١٤م): تصور المستشرق بنجامين هاري للواقع اللغوي العربي الحديث، بحـــث منـــشور بمجلة كلية دار العلوم – جامعة القاهرة، ع ٧٣، ص ص ٥٩– ١٠٠.

  _____: اعتراضات المستشرق شفتيل على تقسيم المستشرق يوشع بلاو لتاريخ اللغة العربية، بحث قُبل للنشر بمجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة.
- د. الحموز، عبد الفتاح (١٩٩٢م): تراكيب ابن رشد الفلسفية اللغوية، بحث منشور بمجلة مؤتـــة للبحـــوث والدراسات، المجلد السابع، العدد الأول، ص ص٢١١ – ٢٧٨.
- د. خليل، حلمي (١٩٨٥): المولد في العربية، دارسة في نمو اللغة العربية وتطورها بعد السلام، الطبعـــة الثانية، دار النهضة العربية للطباعة، بيروت، لبنان.
- ديم، فرنر (١٩٨٣م): حول اللغة العربية الفصحى واللهجات العربية واللغة العربية الأم، بحـــث منـــشور بمجلة الأبحاث (الجامعة الأمريكية ببيروت) السنة ٣١، ص ص ٢٥–٣٦.
- د. ديشي، جوزيف (١٩٨٣م): مساهمة في تحديد مفهوم الكفاءة والمهارات الانتقالية في تعلم اللغة العربية كلغة أجنبية، بحث منشور في:

Raja, T, Nasr(ed) 1983, L'enseignement de l'arabe aux adultes en Europe, 14 colloque, AIMAV, Bruxelles.

- د. سليم، عبد الفتاح (٢٠٠٥– ٢٠٠٦م): موسوعة اللحن في اللغة مظاهره ومقاييسه، الطبعة الثانية، طبعة مكتبة الآداب.
- د. العبد، محمد (١٩٨٩م): اللغة والإبداع الأدبي، الطبعة الأولى، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع بالقاهرة.
- د. العجمى، فالح شبيب (١٩٩٤م): أبعاد العربية، الرياض.
- د. عياد، شكري (٢٠١٢م): كتاب أرسطو طاليس في الشعر، نقل أبى بشر متّى بن يونس القنائي من السرياني إلى العربي، حققه مع ترجمة حديثة ودراسة لتأثيره في البلاغة العربية، طبعة المركز القومي للترجمة بالقاهرة.
- فرستيج، كيس (٢٠٠٣م): اللغة العربية، تاريخها ومستوياتها وتأثيرها، ترجمة د. محمد الشرقاوي، طبعة المشروع القومي للترجمة بالقاهرة.
- فوك، يوهان (٢٠٠١م): العربية الوسيطة، ترجمة د. حمزة الزيني ضمن كتابات لعدد من المستشرقين تحت عنوان: دراسات في تاريخ اللغة العربية، طبعة دار الفيصل الثقافية بالمملكة العربية السعودية.

_____ (٢٠٠٥م): العربية، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، ترجمة د. عبد الحليم النجار، طبعة الدر المصرية السعودية للطباعة.

_____ (٢٠٠٦م): الدراسات العربية في أوربا حتى القرن العشرين، ترجمة د. سعيد بحيرى ود. محسن الدمرداش، طبعة دار الشرق بالقاهرة.

- فيشر، فولفديتريش (٢٠٠٥م): العربية الحديثة ولهجاتها،ترجمة د. سعيد بحيرى ضمن كتاب دراسات في العربية، طبعة مكتبة الآداب بالقاهرة، ص ص٢١١– ٢٤٢.
- د. قدور، أحمد محمد (١٩٩٤م): مفهوم العربية المولدة عند يوهان فك في كتابه العربية. بحث منشور بمجلة مجمع الغلة العربية الأردني، العدد ٤٦ لسنة ١٩٩٤م، ص ص ١٠٥– ١٢٨.
- كساب، خالد: مقال بجريدة الدستور، العدد ١٩٣ بتاريخ ٢٦ نوفمبر ٢٠٠٨م، ص ١٩.
- نجم، نوارة، مقال: يوميات عقلي الباطن في السجل المدني، بجريدة الدستور، العدد ٢٣٢، بتاريخ ٢٦ أغسطس ٢٠٠٩م، ص ١٦.

(ب) الأجنبية:–

- Bassiuney, R, 2002: The Relationship between speaker's Role and Code Choice, In Al-Logha, 3m May, 2002, PP. 77-100.
- Bousofara – Omar, N, 2006: Neither third Language Nor middle Varieties but Diglossic Switching, in ZAL, 45, PP: 55- 80.
- Blau, J, 1981 A: The Emergence and Linguistic Background of Judaeo-Arabic. Jerusalem.

- _____ 1981, B: The State of Research in the Field of the Linguistic Study of Middle Arabic, in Arabica, T: 28, F: 2-3, PP. 187- 203.
- _____1988: Studies in Middle Arbic and Its Judaeo-Arabic Variety. Jerusalem.
- _____2002: Handbook of Early Middle Arabic. The Hebrew University of Jerusalem.
- _____2003: The Importance of Middle Arabic for the Understanding of the History of Neo-Arabic, In Lentin, Jet Lonnet, A (eds): Melanges David Cohen, Paris, PP. 111- 117.
- _____2008: On Some Middle Arabic Literary Standards, In Lentin, J et Grand' Henry, J (eds): Moyen arabe et varietes mixtes de l'arabe á travers l'histoire, Louvain-La-Neuve, PP. 73- 86.
- Corriente, F, 1975: Marginalia on Arabic Diglossia and Evidence thereof in Kitab Al-Aghani, in Journal of Semitic Studies, 20: 36- 61.
- Ferrando, I, 2007: History of Arabic, In Versteegh, K(ed): Encyclopedia of Arabic Language and Linguistics vol: z, Brill, Leiden –Boston, pp: 261- 268.
- Fisher, W, 1991: What is Middle Arabic, Semitic Studies in honor of Wolf Leslau, (ed) Alan. S, Kaye, vol: 1, PP: 430- 436. Wiesbaden: O, Harrassowitz.
- _____2006: Classical Arabic, in Versteegh, K, (ed): Encyclopedia of Arabic Language and Linguistics, Vol: 1, PP. 397- 405, Brill, Leiden- Boston.
- Fuck, J, 1955: "Arabiya, Recherches sur l'histoire de la langue et du style arabe. Traduction Claude Denizeau, Librairie Marcel Didier, Paris.
- Hary, B, 1989: Middle Arabic, Proposals for New Terminology. In Al- Arabiyya, 22, PP: 19- 36.
- _____1992: Multiglossia in Judeo- Arabic, Leiden: E.J. Brill.
- _____1996: The Importance of the Language Continuum in Arabic Multiglissia. In Elgibali, A(ed): Understanding Arabic, Essays in Contemporary Arabic Linguistics in Honor of El-Said Badawi, the American University of Cairo Press, PP: 69- 90.
- _____2007: Hypercorrection. In Versteegh, K(ed): Encyclopedia of Arabic Language and Linguistics, vol: 2, PP: 275- 279, Brill, Leiden- Boston,
- Holes, C, 1993: The Uses of Variation: Study of the Political Speeches of Gamal Abd Al- Nasir, in Eid, M and Holes, C(eds): Perspectives on Arabic Linguistics V, PP. 13- 45, John Benjamins: Amsterdam/ Philadelphia.
- Kouloughli, D, E, 2004: Le texte arabe du roman de Baybars: Premier survol du corpus èlectronique, Arabica, 51/1-2: 121- 143.
- _____2007: L'arabe, Paris "Que sais- je?" Presses Universiraire de France.
- _____2008: Moyen arabe et questions connexes. in http://cle. ensish. Fr/ 1195829205054/0/fiche article.
- Larcher, P, 2001: Moyen arab et arabe moyen. Arabica, 48 (4): 509- 78.
- _____2003: Review of: Joshua Blau, A Handbook of Early Middle Arabic, the Hebrew University, Jerusalem, in Arabica, T: L, 4, PP. 547- 554.

- Lentin, J, 2003, Varietes d'arabe dans des Manuscrits syriens du Roman de Babars et histoire du texte, in Jean- Claude Garcian (ed): Lectures du Roman de Baybars, Editions Parenthèses, Paris, PP. 91- 111.
- _____2008,A: Middle Arabic. In Versteegh, K(ed): Encylopedia of Arabic Language and Linguistics, vol: 3, pp. 216- 224.
- _____2008,B: Moyen arabe et varietes mixtes de l'arabe: Premier essai de bibliographie, in Lentin, J et Grand' Henry, J (eds): Moyen arabe et varietes mixtes de l'arabe á travers l'histoire, Louvain-La-Neuve.
- Mejdell, G, 2000: Aspects of Formal Spoken Arabic in Egypt-Lugha Wusta or Loughat al-Muthaqqafiin, A View from the North, in Al-Logha, 2, PP. 7- 27.
- _____2002: Features of luga wusta-mixed discourse in Spoken Arabic in Egypt. in Youssi, A et Alii (eds): Actes des Premiers journees internationales de dialectologie arabe de Paris, Rabat: Amapatrll, PP. 317-328.
- _____2006: Mixed Styles in Spoken Arabic in Egypt. Brill: Leiden-Boston.
- _____2008: Middle Arabic across Time and Medium/ Mode, some Reflexions and suggestions, in Lentin, J et Grand' Henry, J (eds): Moyen arabe et varietes mixtes de l'arabe á travers l'histoire, Louvain-La-Neuve., PP. 355-372.
- Owens, J, 1998: Case and proto-Arabic. Part:1, in BSOAS, 61(1): 51- 73.
- _____2006: A Linguistic History of Arabic. Oxford University Press.
- Shivtiel, A, 1991: The Maze of Arabic. In Kaye, A (ed): Semitic Studies, vol: 2, Otto Harrassowitz: Wiesbaden, PP: 1435- 1442.
- Versteegh, K, 1997: The Arabic Language, Columbia University Press, New York.

الهوامش:

(*) أشير في البداية إلى ظاهرة منتشرة لدى الباحثين في تاريخ العربية، وهي كثرة المصطلحات مما يسبب الاضطراب، ولابد حينما أعرض لتصوراتهم أن يكون هناك صدى لتعدد المصطلحات وتباينها أحياناً فيما بينهم، وفوق كل ذلك حداثتها بالنسبة للقارئ العربي، وليكن القارئ الكريم واعيًا لكل ذلك.

(١) الجاحظ: البيان والتبيين ج١ ص ١٤٦.

(٢) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون ج ١ ص ٤٩١.

(٣) أبو حيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة ج١ ص ١١٥– ١١٦.

(١) كتاب أرسطو طاليس في الشعر، ترجمة متى بن يونس القنائي ص ٣٧.

(٢) السابق ص ٣٥.

(٣) السابق ص ٦١.

(٤) د. السعيد بدوي: مستويات العربية المعاصرة في مصر ص ٤٥.

(٥) انظر تفصيلات أكثر في كتاب د. السعيد بدوي: مستويات العربية المعاصرة في مصر ص٦٧– ٦٨.

وأشير هنا إلى التحليل القيم الذي قام به د. محمد العبد لما سمي باللغة الثالثة، مركزًا على الحوار بهذا المستوى عند توفيق الحكيم، وخلص إلى ملحوظات مهمة في هذا المضمار، منها أن مفهوم الحكيم للفصحى والعامية يشوبه لبس خطير، ذلك أن العربية –حسب د. محمد العبد– في تاريخها الطويل لم تعرف لا الفصحى ولا العامية مستوى لغويًّا واحدًا، ففضلاً عن الاختلاف اللغوي التاريخي من عصر إلى عصر، هناك اختلاف داخلي آخر بين لغة الشعر ولغة النثر. وإذا صرفنا النظر عن لغة الشعر لخصوصيتها رأينا للغة النثر مستويات أخرى عدة، وتصبح هذه المستويات في العربية الحديثة أكثر بروزًا، فهناك فصحى التراث الأدبية التي نراها في كتابات طه حسين والعقاد وأحمد أمين وتوفيق الحكيم، وهناك فصحى المؤلفات العلمية والكتابات الفكرية، وهناك فصحى لغة الصحافة وجمهرة المثقفين، وهناك الفصحى الفنية الميسرة في السرد الروائي والحوار الدرامي كالتي نراها عند الحكيم وغيره من كتاب الرواية ومسرح الفصحى، فالمسألة – حسب د. العبد– ليست مسألة أنواع مختلفة؛ وإنما هي مسألة مستويات لغوية وأسلوبية داخل لغة واحدة، هي الفصحى ذات النسيج الفصيح والجارية على قواعد الإعراب ونظام التركيب في العربية الكلاسيكية، ثم يذكر د. العبد أن العامية – بالمثل– تتعدد بتعدد البيئات الجغرافية فيما نسميه باللهجات المحلية، التي تختلف فيما بينها صوتيًا وصرفيًا ونحويًا، ولا تتفق هذه اللهجات إلا في أنها جميعًا ذات نسيج لغوي ونظام تركيبي يختلف عن الفصحى. وللهجة الواحدة مستويات مختلفة كذلك. انظر كتاب د. محمد العبد: اللغة والإبداع الأدبي، ص ٢٤٠– ٢٤١.

(١) د. السعيد بدوي: مستويات العربية المعاصرة في مصر ص ٤٣.

(٢) يوهان فوك: العربية ترجمة د. النجار ص ١٢٢.

وأشير هنا إلى أن ترجمة د. النجار لهذا المصطلح قد سببت خلطًا كبيرًا عند الباحثين العرب، ومنهم كما رأينا د. السعيد، وكانت الترجمة مسئولة عن عدم توضيح الفكرة كما في نص فوك، ودليل ما أقول أن د. أحمد محمد قدور في بحثه عن العربية المولدة عند يوهان فك في كتابه "العربية" يقول في ص١١٣ من بحثه: "يبدأ "فك" تاريخ العربية المولدة" حين انتقلت العربية بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) مباشرة عن طريق الفتوحات في العهد الإسلامي الأول إلى خارج حدودها القديمة في مواطن لغوية أجنبية (انظر كتاب فك ص١٧)، ويلاحظ أن هذا التحديد يخالف ما أجمع عليه علماء العربية القدامى الذين جعلوا "المولد" مرتبطًا بالدلالة اللغوية الناشئة من ظهور أجيال محدثة غلب عليها اختلاط الأعراق. وقد حددوا بداية لهذا المولد أنها تتأخر عن التاريخ الذي افترضه (فك) بنحو قرن ونصف؛ إذ جعلوا سنة (١٥٠هـ) حدًّا فاصلاً بين الفصيح والمولد على صعيد المدن التي كثر فيها الاختلاط والتزاوج .... فهذا الذي ارتآه فك يخالف دلالة "المولد" لغة؛ لأن هذه الدلالة لم تكن قد ولدت على الأجيال الجديدة حين خرج العرب بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) من الجزيرة مباشرة، ولأن شيوع الظواهر المولدة في القرن الأول لم يكن، بشهادة اللغويين المتشددين، يتجاوز أمثلة من اللحن أو الخطأ الذي لم يتعد كونه ظواهر فردية"، ثم ينتهي د. قدور في ص١١٥ إلى أنه "لن يستقيم المفهوم الذي بني عليه الكتاب عندي ما لم يتم التخلي عن كلمة "العربية" في مصطلحه "العربية المولدة"، انظر مدى المشكلة التي سببها المترجم بترجمة مفهوم العربية الوسيطة بالعربية المولدة، ولعل د. حلمي خليل كان الأسبق للتعرض لهذه المشكلة من د. قدور، فهو يذكر في كتابه: المولد في العربية، حينما يناقش يوهان فوك في مفهوم للعربية المولدة، ولم يكن فوك أصلاً صاحب المصطلح ومفهومه مختلف جدًا، ولذا كان

لابد من التأكد من الأصل أولاً، وذلك حينما يعقب على مجموعة السمات التي وصف بها فوك العربية الوسيطة وترجمها المترجم بالعربية المولدة، وينتهي د. حلمي خليل قائلاً: "ومن هذا كله نخرج بعدة حقائق مهمة عن خصائص العربية المولدة، كما تصورها فوك، نحن إذًا أمام لغة عربيـــة مولدة لها من الخصائص اللغوية، سواء في الصوت أم الكلمة أم التركيب أم الدلالة، ما تتميز به عن العربية القديمة، فهل وجدت حقًا لغـــة بهـــذه الخصائص المميزة في حياة العربية؟ الواقع أن يوهان فوك كان موفقًا في تتبع معالم التطور اللغوي للعربية خلال القرون الخمسة الأولى من حياتها، إلا أنه وقع في خطأين نتج عنهما قوله بوجود عربية مولدة تختلف عن العربية القديمة وخاصة في التركيب.." ص٤٥١.

وهنا نلاحظ أن مفهوم العربية الوسيطة، كما عند المستشرق فوك، لم يصل بالترجمة عند د. النجار، وقد كان المصطلح الذي نقله به د. النجار سببًا في مشاكل عدة.

ويلاحظ أن عدم وجود أبحاث في تاريخ العربية وعدم وجود تواصل قوي في فترة د. النجار، وهي حقبة خمسينيات القرن العشرين، كان سببًا في الاضطراب الاصطلاحي الواضح في الترجمة.

وحتى لا يصل الأمر بنا إلى جلد الذات فإني أذكر ما قاله المستشرق الألماني ڤرنر ديم في مضمار المصطلحات في مجال البحث فـــي الساميات واللغة العربية، فيقول: "إن من المشكلات المنهجية التي يواجهها علماء الساميات واللغة العربية بصورة خاصة مـــشكلة المـــصطلحات العلمية، وهي مشكلة ذات جوانب متشعبة، فهناك مفاهيم لغوية أطلق على كل منها أكثر من مصطلح"، ثم يقول: "ترى بعض العلمـــاء الأوربيـــين المحدثين قد وضعوا مصطلحات أخرى لا تؤدي المعنى الدقيق، ومن ناحية أخرى، تشيع في بحوث العلماء الأوربيين مصطلحات غيـــر واضـــحة وغير محددة تحديدًا دقيقًا..." انظر بحثه: حول اللغة العربية الفصحى واللهجات العربية واللغة العربية الأم ص٢٥.

([11]) Fűck, J, Arabiya, Traduction Parc– Denizeau, P.87.

([٢]) د. سعيد بحيري في ترجمته لكتاب: دراسات في العربية لمجموعة من المستشرقين ص ٢٤٥.

([٣]) د. فالح العجمي: أبعاد العربية ص ١٧٨.

([٤]) د. حمزة المزيني في ترجمته لمجموعة من البحوث الاستشراقية، وذلك في كتاب: دراسات في تأريخ اللغة العربية ص٦٣.

([١]) د. فالح العجمي: أبعاد العربية ص ١٧٨.

([٢]) مستشرق ألماني ولد في ١٨٠١م وتوفي في ١٨٨٨م، وكان أستاذًا للغات الشرقية، ودرس في جامعة ليبنرج٢، انظر حول حياته وأعماله: يوهان فوك: الدراسات العربية في أوربا حتى مطلع القرن العشرين، ص ص٢٨٥– ٢٩٠.

([17]) Fischer, W, 1991, P.431.

([18]) Ibid, p.431.

([19]) Ibid, p.431.

([20]) Owens, J, 2006, P.41.

([21]) Kouloughli, DJ, 2008, P.2.

([22]) Larcher, P,2001, P.585.

([23])Kouloughli, DJ, 2008, P.2.

([٥]) اعتمدت هنا على الترجمة الفرنسية لكتاب فوك وهي المتاحة لي، انظر: Fűck,J,1955,P.87.

([25]) Ibid, p.87.

([26]) Ibid, p.88.

([27]) Ibid, p.91. وترجمة د. النجار ص١٢٦.

([28]) Ibid, p.96. وترجمة د. النجار ص ١٣٠.

([٤]) فوك: العربية الوسيطة، مقال ترجمه د. المزيني ص٦٧.

([30]) Fuck, J, 1955, P.88.

([31]) Blau, J, 1988, P.61.

([32]) Fischer, W, 1991, P. 431.

([٢]) سوف أعتمد على الطبعة المتوافرة لي من هذا الكتاب، وهى الطبعة الثانية التي طُبعت في عام ١٩٨١م.

([34]) Blau, J., 1981, A, P. 10.

([35]) Ibid, P. 10.

([36]) Ibid, P. 2.

([37]) Ibid, P. 3.

([38]) Ibid, P. 4.

([39]) Ibid, P. 6.

([٥]) اعتمدت على الطبعة التي طبع فيها هذا البحث ضمن كتاب بلاو ١٩٨٨.

([41]) Blau, J., 1988, P.61.

([42]) Blau, J., 2003, P.111.

([43]) Ibid, P. 117.

([٤]) اعتمدت على نشرة ضمن كتاب بلاو ١٩٨٨.

([45]) Blau, J., 1988, P.256.

([٢]) مصطلح Pseudo– Correction حسب هاري في بحثه 2007, P. 276 يضم تحته عددًا من المصطلحات، منها Hypercorrection الذي يمثل نوعًا من التصحيح الزائد (Pseudo – Corrections)، وهذان المصطلحان يترجمهما د. رمزي بعلبكي بتصحيح زائد/ مفرط، حزلقة، لحن اشتقاقي، وهو حسبه محاولة واعية يقوم بها المتكلم لمحاكاة اللغة النموذجية أو اللغة الغالبة أو اللغة الثانية تفضي إلى صيغة غير صحيحة تسمى صيغة التصحيح الزائد، انظر د. بعلبكي – معجم المصطلحات اللغوية، دار العلم للملايين ص٢٣١، وص ٤٠٨.

ويشير بنجامين هاري –في مقاله عن التصحيح الزائد (Hypercorrection) نفسه السابق– إلى أنه نوع من التصحيح اللغوي، وهو نتيجة لكون المتكلمين أو الكتاب يرغبون في التكلم أو الكتابة بتنوع لغوى أكثر حظوة اجتماعية (More Prestigious Variety) ولتجنب الصيغ المشوهة، ويذكر أن ظاهرة التصحيح الزائد ليست عادة في كل اللغات، لكنها لها أهمية خاصة في العربية؛ لأن الواقع اللغوي العربي متعدد المستويات اللغوية (Continuuglossic Situution)، ولأن هذه الظاهرة آلية (Mechanism) للتغير اللغوي في كل اللغات، ويذكر هاري أن العربية تستخدم كنموذج صحيح للتصحيحات اللغوية الزائدة الشائعة؛ لأنه تاريخيًا قد تمتعت العربية الفصحى بمكانة عالية مقارنة بالعاميات العربية، ومن ثم يخلص هاري إلى أن المكانة الاجتماعية تؤدى دورًا مفتاحيًا في تحديد التحليلات الأساسية لإنتاج التصحيحات الزائدة. انظر Hary, B, 2007, P. 275– 276.

ونخلص من هذا أن التصحيح الزائد/ المفرط جاء نتيجة عدم معرفة كافية لدى المؤلفين بقواعد اللغة العربية، ومن هنا فإن عدم المعرفة يأتي نتيجة تصحيح أو تغيير بعض التراكيب مما لا تحتاج أصلاً إلى تصحيح، لنصل في بعض الحالات إلى صورة لغوية غير مصححة تصحيحًا زائدًا أو ليست مصححة بصورة كافية في حالات أخرى. انظر بحث د. منتصر أمين عبد الرحيم: مصطلحات التصحيح الزائد في نصوص العربية الوسيطة، تحت الطبع.

وينتهي بنجامين هاري إلى كون التصحيحات الزائدة وهو ما يسميه بـ Hypercorrection يحتوى على صيغ لا تتماثل مع قواعد المستوى الفصيح، بمعنى أنها تستعمل داخل هذا المستوى في سياقات تركيبية مختلفة، ولا ينفى هذا كون هذه الصيغة منتمية لهذا المستوى اللغوي، ويذكر هاري من أمثلة هذا النوع أمثلة من عربية يهود مصر في القرن السادس عشر الميلادي، منها (وطلب منهم مبلغ ميه وخمسون ألف...) يذكر هاري أن صيغة (خمسون) من هذه العبارة تصحيح زائد، ففي لهجة الكاتب وهى عربية اليهود المصريين يستعمل المتحدثون بها صيغة (ين) للجمع في جميع الحالات، ولكن الكاتب استعمل هنا (ون)؛ لأنه يعلم أن العربية الفصحى تستخدم هذه الصيغة، ولكنه فشل في استعمالها استعمالاً صحيحًا.

أما النوع الثاني من التصحيح فيسميه هاري بالتصحيح الناقص (Hypocorrection)، ومن أمثله –حسب هاري– من عربية المسيحيين (عيد إليه الرسول ثانية) يشير هاري إلى أن معنى الفعل (عيد) أرسل ثانية، وقد أراد الكاتب استعمال الفعل في صيغة البناء للمجهول، وهي صيغة غير مستخدمة في لهجته التي يتحدثها، وبالتالي جاء استخدامه للفعل في صيغة غير صحيحة حسب قواعد الفصحى، ويذكر هاري مثالاً آخر من هذا النوع وهو من عربية اليهود –حسب هاري– و(هم باقيون)، فقد أراد الكاتب أن يتفصح فاستخدم صيغة (باقيون)، وهى غير صحيحة وفقًا لقواعد العربية الفصحى، فالصحيح (باقون) انظر حول ذلك كله مقال هاري التالى Hary, B, 2007, P. 276– 277.

ويذكر المستشرق الإنجليزي شفتيل أن التصحيحات تنجم عن جهل الكاتب بالقواعد اللغوية، ورغبته الأكيدة في تقليد المستوى الفصيح الذي يتصف بالقواعد الفصيحة، لكن شفتيل يرى أن هناك بعض الحالات من هذه التصحيحات تمثل صيغًا لهجية، وليست تشويهًا لقواعد العربية الفصحى؛ مثل

الصيغ الموحدة مثل (أبوك – أخوك) فليس بالضرورة رؤية هذه الحالات على أنها تشويه متعمد لقواعد الفصحى؛ بل على كونها صيغًا موحدة تــم قبولها داخل اللهجات بوصفها أشكالاً مباحة، انظر حول هذا Shivtiel, A 1991, P. 1438.

وعلينا أن ننوه هنا إلى أن هذا المصطلح والمصطلحات المتعلقة به كلها دالة على التصحيحات التي تمثل سمة مــن ســمات العربيــة الوســيطة، وارتبطت تلك المصطلحات بالبحوث الاستشراقية في هذا المجال.

([47]) Blau, J., 1988, P.256– 257.

([48]) Blau, J., 1988, P. 257.

([49]) Ibid, P. 257.

([50]) Ibid, P. 257.

([51]) Ibid, P. 258.

([52]) Hary, B, 1989, P. 19–20.

([53]) Blau, J., 1981, A, P. 215.

([54]) Blau, J., 1981, B. 187.

([55]) Hary, B, 1989, P. 20.

([56]) Blau, J., 2002, P. 9.

([57]) Blau, J., 1988, p .256.

([58]) Ibid, P. 61.

([59]) Blau, J., 2008, P. 73.

([60]) Shivitel, A., 1991, P. 1436.

([61]) Ibid, P. 1438.

([62]) Lentin, J, 2008, P. 215.

([63]) Ibid, P. 215– 216.

([64]) Ferrando, A, 2007, P. 265–266.

([65]) Ibid, P. 266.

([66]) Versteegh, K., 1997, P. 114. وترجمة د. محمد الشرقاوي، ص ١٣٠

([67]) Ibid, P. 114. وترجمة د. الشرقاوي، ص١٣٠

([68]) Fischer, W, 1991, P. 432.

([69]) Ibid, P. 432.

([70]) Ibid, P. 432–433.

([71]) Ibid, P. 433.

([72]) Ibid, P. 433.

([73]) Ibid, P. 434.

([74]) Ibid, P. 434.

([75]) Ibid, P. 434.

([76]) Fischer, W, 1991, P. 434.

([77]) Ibid, P. 436.

([78]) Ibid, P. 432.

([79]) Ibid, P. 432.

(١) كما أن فيشر أكد رؤية مهمة وهي أنه من الناحية اللغوية لا يمثل الانتقال من العربية القديمة إلى العربية الحديثة إلا خطوة تطور وحيدة، بحيث إنه يجب أن نلحق كل صيغ المفردات الواردة في نصوص العربية الوسيطة بالعربية الحديثة انظر مقاله: العربية الحديثة ولهجاتها، ترجمة د. سعيد بحيرى، وهو ضمن كتابه: دراسات في العربية، ص ٢٢٥. وحول رؤية فيشر لتاريخ العربية انظر بحثـــه الآتـــي: Fischer, W, 2006, PP. 397- 405.

(81) Hary, B, 1989, P. 21.

وأشير هنا إلى أن ما طرحه هاري في هذا البحث جزء من رؤية لغوية كاملة للواقع اللغوي العربي، وقد عرضه هاري في بحثين هما: (A) Hary, B, 1992. (B) Hary, B, 1996.

وانظر بحثنا: تصور المستشرق بنجامين هاري للواقع اللغوي الحديث.

(82) Hary, B, 1989, P. 22.

(83) Ibid, P. 22-23, P. 28.

(84) Ibid, P. 23.

(85) Ibid, P. 27.

(86) Ibid, P. 29.

(87) Ibid, P. 28.

(88) Ibid, P. 28.

(89) Ibid, P. 29.

(90) Ibid, P. 29.

(91) Ibid, P. 30.

(92) Ibid, P. 32.

(93) Ibid, P. 33.

(94) Ibid, P. 35.

(95) Ibid, P. 35.

(96) Hary, B, 1989, P. 28.

(١) يذكر هاري في بحث آخر من بحوثه أنه في هذا السياق المتضارب في استعمال هذا المصطلح، فيكون من المفيد أكثر أن نـــستعمل مـــصطلح العربية الوسيطة للإشارة إلى: ١- طور تاريخي Historical Phase من بدايته في المرحلة الإسلامية الأولى حتى القرن الثامن. ٢- مستوى لغوى اجتماعي يحتوي على تنوع مختلف من العربية النموذجية والعاميات. ويرى أن هذا مهم؛ ذلك أنه في تاريخ اللغة العربية في العصور الوسطى فقط، وجد سياق/ واقع لغوى كانت فيه نصوص أدبية مكتوبة بتنوع لغوى مختلف من العربية النموذجية والعامية، بالإضافة إلى عناصر أخرى. انظـــر بحثه التالي: Hary, B, 1992, P. 52

(98) Larcher, P, 2001, P. 582- 583.

(99) Larcher, P, 2007, P. 258- 259.

(100) Ibid, P. 260.

(101) Ibid, P. 593.

(102) Ibid, P. 598.

(103) Larcher, P, 2003, P. 547.

(104) Larcher, P, 2001, P. 589.

(105) Ibid, P. 589.

(106) Ibid, P. 604- 605.

(107) Versteegh, K, 1997, P. 114.

([108]) Owens, J, 1998, P. 224, N. 21.

([109]) Larcher, P, 2001, P. 605.

([110]) Ibid, P. 605.

([111]) Versteegh, K, 1997, P. 114.

([112]) Mejdell, G, 2002, P. 317.

([113]) Mejdell, G, 2008, P. 355.

([114]) Blau, J., 1981, A. P. 25.

([115]) Mejdell, G, 2008, P. 358.

([١]) انظر كتابها: Mixed Styles in Spoken Arabic in Egypt, Leiden– Boston, 2006.

([117]) Mejdell, G, 2002, P. 3017.

وحول هذه المفاهيم انظر بحثي: تصور المستشرق بنجامين هاري للواقع اللغوي العربي الحديث المنشور بمجلة كلية دار العلوم –جامعة القـــاهرة ج٧٣ –مايو ٢٠١٤، ص ص٥٩– ١٠٠.

([118]) Mejdell, G, 2008, P. 370.

([٢]) أشير إلى أن هناك من الباحثين العرب الدارسين في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية من يرى رؤية قريبة من هذا، ومن هؤلاء الباحثة نعيمة بوصفارة – عمر، في بحثها: Neither Third Language Nor Middle Varieties but Diglossic Switching، لا لغة ثالثة ولا تنوعـــات وسيطة؛ بل تحولات متعددة المستويات. في هذا البحث – وكما هو ظاهر من العنوان – ترفض فرضية اللغة الثالثة والتنوعات اللغوية الوســـيطة، وتقول بإنها حاولت في هذا البحث إعادة النظر في طبيعة ما اصطلح عليه باللغة الوسيطة، (Middle Language) أو التنوعات الوسيطة للعربيـــة Intermediate Varietes of Arabic، وقدمت –حسب زعمها– وجهة نظر جديدة في تحليل ظاهرة خليط الفصحى واللهجات، وأنها حاولت ربط دراسة هذا التنوع اللغوي بمشكلات نظرية أكبر في مجال إنتاج اللغة، ومعالجتها من خلال توضيح طبيعتها اللغوي على ضوء النمـــوذج اللغـــوي المقدم من مايرس – أسكوتن Myers– Scotton المسمى (Matrix Language Frame Model)، والذي يهدف أساسًا إلى تفسير التقييد البنيوي/ التركيبي بتغيير/ تبديل الشفرة (Code Switching) انظر بحثها Bousofara – Omar, N, 2006, P. 77. وتبديل الشفرة أو التحول اللغـــوي (Code Switching) بمعنى تحول المتكلم من "شفرة" بالمعنى الذي يستعمل في علم اللغة الاجتماعي إلى أخرى خلال الكلام، وقـــد يـــشمل هـــذا التحول من لهجة إلى أخرى كالتحول من العامية إلى الفصحى وبالعكس، أو من لغة إلى أخرى (كالتحول من الفرنسية إلى الإنجليزية – انظر معجم المصطلحات اللغوية للدكتور رمزي بعلبكي، ص ٩٦).

وتشير الباحثة كذلك إلى أن إعادة النظر في اللغة الثالثة والتنوعات الوسيطة على ضوء نموذج البنى النحوية لتبديل الشفرة/ المستوى اللغوي يبرهن على أن تبديل المستويات اللغوية ليس عشوائيًا، بل إنه منظم وقابل للتنبؤ به. انظر بحثها السابق. P. 77.

([120]) Lentin, J, 2008, P. 216.

([121]) Ibid, P. 216.

([122]) Ibid, P. 216.

([123]) Ibid, P. 216.

([124]) Ibid, P. 216.

([125]) Ibid, P. 216– 217.

([126]) Lentin, J, 2008, P. 217.

([127]) Ibid, P. 217.

([128]) Ibid, P. 217.

([129]) Ibid, P. 217– 218.

([130]) Ibid, P. 218.

([131]) Ibid, P. 218.

([132]) Ibid, P. 218.

([٣]) حول هذا المضمار انظر بحثي: اعتراضات المستشرق شفتيل على تقسيم المستشرق يوشع بلاو لتاريخ اللغة العربية، بحث قبل للنشر بمجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

([٤]) يأتي عمق هذا الباحث في هذا المضمار لكونه خصص عددًا من بحوثه في هذا المضمار، أحدهم عن تحليل التنوعات اللغوية في مخطوطات سيرة الظاهرة بيبرس انظر بحثه التالي Lentin, J, 2003, PP. 91– 111

([135]) Ibid, P. 219.

([136]) Ibid, P. 219.

([137]) Ibid, P. 219.

([٤]) يتضح الاهتمام الجديد بالعربية الوسيطة من خلال المؤتمرات العلمية التي قامت حول البحث في هذا المضمار، ومن هذه المؤتمرات المؤتمر الذي عقد في لوفان في مايو ٢٠٠٤، وآخر في أمستردام، وطبعت أعمال هذين المؤتمر ولكي نتأكد من هذه الأهمية انظر الببلوجرافيا التي صنعها جروم لنتان عن البحوث المكتوبة عن العربية الوسيطة ونشرت في أعمال المؤتمر الأول المنعقد في لوفان. انظر Lentin, J, 2008.

([١]) جمال الدين كلوغلى: وُلِدَ في ١٩٤٧م وتوفى في ٢٠١٣م جزائري ودرس وعمل في الجامعات الفرنسية وله كتابات مهمة في اللسانيات العربية، وقد كتب عددًا من الكتب والبحوث في اللغة العربية عمومًا، وكتب كتابًا مهمًا وصغير الحجم، ونشرته المكتبة الفرنسية المسماة بـــ Que sais – Je? = ماذا أعرف، وهو بعنوان L'arabe، خصص منه صفحات عن العربية الوسيطة انظر Kouloughli, Dj, 2007, P. 94– 99.

([140]) Kouloughli, Dj, 2008, P.5.

([141]) Ibid, P. 20.

([142]) Ibid, P. 21.

([143]) Kaulougli, Dj, 2008, P.21.

([144]) Ibid, P. 22.

([145]) Ibid, P. 22– 23.

([٤]) كانت سيرة الظاهر بيبرس موضع بحث من قبل البروفيسور كلوغلى، يشير في نهاية بحثه إلى أنه تنوع من العربية الوسيطة، وأنها تنوع للغة أنتجت/ جاءت من خلال أنصاف أميين (Semi – Analphabètes). انظر بحثه التالي Kouloughli, Dj, 2004, P. 141.

([147]) Kaulougli, Dj, 2008, P.23.

([148]) Ibid, P. 24.

([149]) Ibid, P. 24.

([150]) Ibid, P. 25.

([151])Ibid, P. 26.

([152])Ibid, P. 27.

([153]) Ibid, P. 28.

([154]) Ibid, P. 29.

([155]) Ibid, P. 29 – 30.

([156]) Ibid, P. 30.

([157]) Versteegh, K., 1997, P. 114. وترجمة د./ محمد الشرقاوي، ص ١٢٩

([158]) Ibid, P. 114.

([159]) Ibid, P. 114– 115. وترجمة د./ محمد الشرقاوي، ص ١٣٠

([160]) Ibid, P. 115.

([161]) Ibid, P. 117.

([162]) Ibid, P. 117.

([163]) Ibid, P. 121.

([164]) Ibid, P. 126.

([165]) Ibid, P. 126.

([٢]) ونجد أيضًا مصطلح العربية الوسيطة بدلالة تاريخية ولغوية عند كورينتى، يقول كورينتى لقد حاولت في مقال عن الحمل الوظيفي للإعراب أن أقلص الفارق التاريخي والتركيبي بين العربية القديمة ذات الطابع التأليفي والعربية الوسيطة ذات الطابع التحليلي، ويذكر أيضًا أن شمال الحجـــاز وسوريا وجنوب بلاد الرافدين هي المناطق الأولى التي سقطت فيها علامات الإعراب وأصبحت قليلة الحمل الوظيفي، وهذا كان بدايـــة لظهـــور العربية الوسيطة Middle Arabic انظر بحثه التالي Corriente, F, 1975, P. 39-40.

([167]) Blau, J., 2003, P. 117.

([168]) Blau, J., 1981 - 1982, P. 231- 232.

([169]) Ibid, P. 233.

([170]) Versteegh, K., 1997, P. 117.

([171]) Blau, J., 1981, B, P. 187.

([٦]) حول هذا انظر بحثي: اعتراضات المستشرق شفتيل على تقسيم يوشع بلاو لتاريخ العربية، بحث قُبل للنشر بمجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

([173]) Larcher, P, 2001, P. 582- 583.

([174]) Ibid, P. 593.

([175]) Ibid, P. 589.

([176]) Lentin, J, 2008, P. 216.

([177]) Ibid, P. 216.

([٦]) انظر حول هذا البحثين التاليين: ١- د. عبد المنعم السيد جدامي: تصور المستشرقين يوسع بلاو وكيس فرستيج للعربية الفصحى على ضـــوء تحليلات اللغويين العرب القدماء ص. ص ٥٥- ٩٠.

٢- د. عبد المنعم السيد جدامي: الازدواجية اللغوية في العربية ومقارباتها العربية والاستشراقية، ص ٥٤- ٧٦.

([١]) يأتي بحث شفتيل معنونًا كالآتي: The Maze of Arabic وقد ترجمته بالاشتراك، وسوف يُنشر - إنْ شاء الله قريبًا-، ولي بحـــث بعنـــوان: اعتراضات المستشرق شفتيل على تقسيم يوشع بلاو لتاريخ اللغة العربية، قُبل للنشر بمجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

([180]) Shivtiel, A 1991, P. 1435.

([181]) Ibid, P. 1439.

([182]) Ibid, P. 1440.

([183]) Ibid, P. 1439.

([184]) Larcher, P, 2001, P. 589.

([٢]) يوشع بلاو: العربية المولدة في نصوص العربية الوسيطة، ص ٢٤٥.

([186]) Lentin, J, 2008, P. 218.

([187]) Ibid, P. 219.

([188]) Ibid, P. 219.

([189]) Versteegh, K., 1997, P. 117.

([190]) Kaulougli, Dj, 2008, P.30.

([191]) Ibid, P. 21.

([192]) Lentin, J, 2008, P. 216- 217.

([193]) Ibid, P. 217.

([194]) Hary, B, 1989, P. 22-23.

([195]) Ibid, P. 29.

([196]) Mejdell, G, 2002, P. 317.

([٢]) جوزيف ديشي: مساهمة في تحديد مفهوم الكفاءة التخاطبية والمهارات الانتقالية في تعلم اللغة العربية كلغة أجنبية، ص ٥٥.

([198]) Hary, B, 1989, P. 32.

([199]) Lentin, J, 2008, P. 218.

([١]) د. السعيد بدوى: مستويات العربية المعاصرة في مصر، ص ١٤٨.

([٢]) السابق، ص ١٤٨– ١٤٩وحول تركيب هذا المستوى يذكر د. السعيد أنّ صورًا من التعبير في عامية المثقفين تجرى قوالبها التركيبية على سنن مشابهة لما تجرى عليه القوالب التركيبية لفصحى العصر، ص ١٧١.

([202]) Mejdell, G, 2002, P. 7.

([203]) Ibid, P. 7.

([204]) Ibid, P. 7.

([205]) Ibid, P. 7.

([١]) د. السعيد بدوى: مستويات العربية المعاصرة في مصر، ص ١٧٣.

([٢]) السابق، الصفحة نفسها.

([٣]) السابق، ص ١٧٤.

([٤]) د. محمد العبد: اللغة والإبداع الأدبي، ص ٢٤١.

([٥]) السابق، الصفحة نفسها.

([211]) Lentin, J, 2008, P. 218.

([212]) Mejdell, G, 2000, P. 7.

([213]) Lentin, J, 2006, P. 216.

([١]) كتاب أرسطو طاليس في الشعر ترجمة أبى بشر منى بين يونس القنائى، ص٣٩.

([٢]) السابق، ص ٤١.

([٣]) السابق، ص ٣٥.

([٤]) السابق، ص ٥٧.

([٥]) يشير د. عبد الفتاح الحموز إلى وجود هذه الظاهرة في كتابات ابن رشد، يقول د. الحموز "تشيع في الكلام الرشدي هذه المسألة على الرغم من كون هذا الضمير مسبوقًا بآخر مستتر أو ظاهر متصل" انظر: د. الحموز: تراكيب ابن رشد الفلسفية اللغوية ص ٢٢٢.

([٦]) د. عبد الفتاح سليم: موسوعة اللحن في اللغة مظاهره ومقاييسه، ص١٧٠.

([٧]) كتاب أرسطو طاليس في الشعر ترجمة أبى بشر متّى بن يونس، ص٤٧.

([٨]) السابق، ص٤٣.

([٩]) د. شكري عياد: كتاب أرسطو طاليس في الشعر، ص ١٨٢.

([١]) السابق، ص ١٨٢.

([٢]) السابق، ص ١٨٠.

([٣]) د. عبد الفتاح سليم: موسوعة اللحن في اللغة، مظاهره ومقاييسه، ص١٧٦.

([٤]) السابق، ج١، ص ١٢٠.

([227]) Lentin, J, 2008, P. 217.

([228]) Versteegh, K., 1997, P. 114. وترجمة د./ محمد الشرقاوى، ص ١٣٠

([229]) Ibid, P. 114.

([١]) جريدة الدستور العدد ١٩٣، ٢٦ نوفمبر ٢٠٠٨، ص ١٩.

(٢) نوارة نجم: يوميات عقلي الباطن في السجل المدني، مقال بجريدة الدستور، العدد ٢٣٢، ٢٦/ أغسطس ٢٠٠٩، ص١٦.

([232]) Bassiouney, R, 2002, P. 77.

([233]) Ibid, P. 86.

([234]) Ibid, P. 99.

وأشير هنا أن هناك دراسة مهمة في هذا المضمار للمستشرق الإنجليزي كليف هولز اتخذ من خطب عبد الناصر مادة لتحليل وظيفة التحول اللغوي ووظائفـــــه في الخطاب السياسي. انظر : Holes, C, 1993, P.36-38

([235]) Lentin, J, 2008, P. 217.